لستَ عاهرةً

شيرين مصطفى

اسم الرواية: لست عاهرة.

اسم المؤلفة: شيرين مصطفى.

المدير العام: نهى محمود .

مدير التوزيع: مصطفى عبد القادر .

تصميم وإخراج فني: همت العزب.

تصميم الغلاف: دعاء السيد .

التصحيح اللُّغوي: أولي النُّهى للتصحيح اللُّغوي (نهى محمود).

الطبعة الثانية: ٢٠٢٠

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٧/٢٣٩٢٩

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦١٠-٠٨-٨

محفوظة جميع الحقوق

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول.

موبايل / ٠١٠١٤٦٢٤٢٨٨

البريد الإلكتروني:

Nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

إهداء

إلى زوجي العزيز

أهدي إليك هذه الرواية، لقد بذلت جهدا كبيرا في مساعدتي في إخراجها في أفضل حال.

إلى أمي وأخوتي

أهدي إليكن هذه الرواية بعد تشجيعكن لي على الكتابة.

إلى متابعي المدونة وصفحتي على الفيس بوك، تعليقاتكم وآرائكم هي التي تدفعني للاستمرار

شيرين مصطفى

مقدمة

عندما تكون العادات والتقاليد هي الأولى بالرعاية، عندما تكون هي الأولى دائما قبل إرضاء الله وقبل الحب وقبل مراعاة مشاعر الآخرين، يظهر من يعارضها من يتمرد عليها، أحيانا نتقبل هذا التمرد، أحيانا نعارضه. أما إذا كانت المتمردة أنثى، أرادت أن تحصل على حقوقها التي شرعها لها الله، أرحنا أنفسنا من عناء المناقشة والتبرير ووجهنا لها أصابع الاتهام بالعهر.

أهدي هذه الرواية لكل من يحاول التمرد على واقع العادات والتقاليد التي تخالف شرع الله، أهدي هذه الرواية لكل امرأة تحاول الحصول على حقوقها الشرعية والقانونية رغم نعت الجميع لها بالعهر، فنحن لسنا عاهرات، نحن نبحث عن حقوق لنا أقرها الشرع والقانون.

الفصل الأول

قنا ١٩٧٠

دوار العمدة

يتعالى صوت صراخ من داخل المنزل، وتوجد حركة غير عادية للنساء داخل الدوّار، الصراخ يزيد ويعلو صوته؛ إنها احسان تلد أول مولود لها وللعمدة عبد الخالق القناوي، ولكن يبدو أن هناك شيء غير طبيعي في ولادتها؛ حيث ترتسم علامات الحزن على وجه البعض، والبعض الآخر علامات القلق والتوتر. تخرج القابلة لتخبرهم شيء ما وتبدو علامات القلق والتوتر على ملامحها

- لابد أن تذهب للمستشفى، لا أستطيع أن أفعل شيء
- ماذا تقصدي بذلك؟ أتريدي أن تكشف نسائنا على الرجال، ء اجن عقلك يا امرأة!
- إنها تنزف ووضع الطفل غير طبيعي، من الضروري أن تذهب لمستشفى المركز

كان ذلك الحوار بين أخت العمدة والقابلة، وعلى الرغم مما سمعته خديجة من القابلة إلا أنها أرادت أن تنهي ذلك، فلا سيدة في عائلتهم تكشف على رجل غير زوجها، هذه هي التقاليد والعرف الذي تعارفوا عليه؛ لذا طلبت من القابلة المحاولة مرة أخرى حتى لو ماتت احسان ولكن لابد أن تحافظ على المولود الذي يجب أن يكون ذكرا!

كانت خديجة تعتقد أن النساء في عائلتهم يجب أن يلدوا الذكور، والذكور فقط، وإلا من سيرث منصب العمدة بعد أخيها عبد الخالق.

تزوجت احسان –ابنةعمهم –من عبد الخالق منذ تسعة أشهر، تبلغ هي من العمر ستة عشر عاما، بينما يبلغ عبد الخالق تسعة وعشرين عام. كانت آية من الجمال، يتسابق الشباب في القرية على الزواج منها، فهي ممشوقة القوام، خمرية اللون، سوداء العيون، شعرها ذو لون أسود حالك كظلام الليل، طويل وناعم ينسدل على كتفيها. هي عروس ممتازة لأي شاب؛ فهي ذات مال وجمال وحسب ونسب، ولكنها حاصلة على الشهادة الابتدائية فقط. لم يوافق الحج سرحان –والدها–أنتخرج ابنته للتعليم؛ فلا حاجة لها به –كما كان يرى –إنها لن تخرج من بيتها إلا على بيت زوجها، حتى لا تتناولها الألسن بالسوء.

كان الجمال نقمة على احسان، فكان جمالها سبب عدم اكمالها التعليم، وسبب في التعنيف المستمر لها من أهلها، فالجمال والمال يغريان الطامعين في العائلة وحسبها ونسبها. عندما أكملت خمسة عشر عاما، تقدم لها ابن عمها عبد الخالق، فوافق الأب على الفور. وكيف لا يوافق وهو يحافظ على تقاليد عائلته، لن تخرج ابنته للغرباء،كما تزوجت من عصبها كما هو

معمول به في العائلة، وهو ذا مال وسلطان، إنه عمدة القرية.

لم تكن احسان الزوجة الأولى لعبد الخالق، إنها الزوجة الثالثة له. لقد تزوج عبد الخالق قبلها من نبوية وفردوس.طلق نبوية وهي الزوجة الأولى لأنها لا تنجب. وكان قد تزوجها من خارج القرية، كانت متعلمة –وذلك في عرف عائلة القناوي عيب فادح –ولم تراع التقاليد التي كانت عليها العائلة، تعرف عليها عبد الخالق أثناء دراسته الجامعية في كلية الزراعة، وتزوجها وهو مازال في سنته الثانية بالكلية. وبعد مرور أكثر من عام على زواجهما ولم تحمل نبوية،وذهب بها للطبيبة التي قالت لهما أن نبوية تعاني من مشاكل صحية تمنعها من الحمل؛ فكان مصيرها الطلاق. لم يشفع حب عبد الخالق لها، فقد كانت العادات والعرف هما سيدا الموقف.أما فردوس فهي لا تزال زوجته وتعيش معه في نفس الدوار مع احسان، فردوس هي ابنة خالته، تزوجها بعد تخرجه من الجامعة مباشرة أي منذ ما يقارب التسع سنوات. تزوجها عبد الخالق لأنها كانت زوجة أخيه وأنجبت منه ثلاثة ذكور، لذا لابد أن تتزوج من أخي زوجها –هذه هي العادات في عائلتهم –تزوجت من عبد الخالق لأنه لم يتزوج بعد، ولأنه الأخ الأوحد لزوجها الراحل، وتزوجها هو لأنها العادات والتقاليد حتى لا تخرج أملاك أخيه من سطوته، ولا يربي الغرباء

لحمه ودمه.

كانت فردوس تعيش مع والديها في الاسكندرية، ولم تعرف شيئا عن الصعيد وعاداته وتقاليده عندما تزوجت من حامد أخي عبد الخالق، والذي توفى بعد زواجهما بعد إنجابها منه عادل ومأمون وخيري. زاد عنادها لتلك العادات عندما أجبرت على الزواج من عبد الخالق –طبقا لعادات الصعيد وإلا فإنها لن ترى أولادها مرة أخرى –لذاكانت عنيدة، وكان تتمنع على عبد الخالق، لكن كان عنادها يزيده رغبة فيها. كانت لها أملاك والدها فهي وحيدة والديها وآل إليها ميراث والدها، وأصرت على الحصول على ميراثها من زوجها؛ فماطلها عبد الخالق حتى تزوجها، ولم تستطع الحصول منه على شيء، ففضلت البقاء معه حفاظا على إرث أولادها، وحفاظا على وجودهم جانبها، لم تستطع فردوس تخيل حياتها بعيدا عن أولادها. كان عمر أولادها عندما تزوجها عبد الخالق عادل ثلاث سنوات ومأمون عامان وخيري لم يكمل عامه الأول.

كانت جميلة جدا، تشعر أنها لا تنتمي لذلك المكان؛ فهي بيضاء شقراء، ذات عيون عسلية اللون، بدينة قليلا، ولكنها البدانة المحبوبة التي تحب أن ترى بها سيدة، مرحة وتحب المرح، ولكنها نست ذلك في دوار عبد الخالق، بعد أن تزوجته. أنجبت

من عبد الخالق محمد وحامد وتوفى كل منهما فور ولادته ولم تنجب منه حتى الآن.

لم يكن عبد الخالق يحصل على حقه من فردوس برغبتها ولكن كان يأخذه غصبا، وكان ذلك يجعله دائما عصبي المزاج، ولم يدر لماذا تعامله فردوس بهذا الأسلوب. ولكن وفي نفس الوقت كان يشعر بنشوة الانتصار في كل مرة يأخذ حقه منها غصبا، يشعر أنه يدخل معركة يخرج منها المنتصر دائما.

كان عبد الخالق الطفل الثاني للحج محمد القناوي عمدة القرية، لم ينجب الحج محمد سوى عبد الخالق وحامد –زوج فردوس الذي توفاه الله – أنجب بعد ذلك ابنته خديجة؛ لذا كان عبد الخالق الطفل المدلل، أكمل تعليمه الجامعي وتخرج من كلية الزراعة، أراد والده الحج محمد أن يكون ابنه متعلما ويتعلم كيف يحافظ على أرض العائلة ويزرعها، وكان يؤمن أن ذلك لن يتأتى إلا بالدراسة، فشجع عبد الخالق على الدراسة ودخول كلية الزراعة؛ بعد أن رفض حامد أن يكمل تعليمه الجامعي، واكتفى بدبلوم التجارة.

كان عبد الخالق أسمر البشرة، طويل القامة، عريض المنكبين، ذا شعر أسود حالك سواده كسواد الليل، ملامحه رقيقة –لا تعكس طباعه الغليظة –كانت الفتيات يتهافتن عليه لوسامته، كان أناني الطبع، يعشق جمع المال والأفدنة، ولكنه لم يتطاول

على حق ليس له، ولم يسرق حق غيره. كان يخاف الله، ولا يدخل على نفسه وبيته مالا حراما، أما حق فردوس وخديجة ووالدته وميراثهن–وفقالعادات الصعيد –حقا مشروعا له ولأبناء فردوس، فلا حق لأنثى في ميراث، هكذا هي العادات.

سئم عبد الخالق من تمنع فردوس عليه، واقترحت عليه خديجة أن يكسر أنفها ويتزوج من فتاة بكر شابة وجميلة، تزيد من غيظ فردوس، وربما كانت السبب أن تتسابق كلاهما لرضائه. واقترحت عليه احسان ابنة عمهم،وذهبوا لزيارتها. عندما رأى احسان سلبت منه لبّه، كما لم تفعل امرأة من قبل. حتى نبوية – رغمحبه لها –لمتفعل به كما فعلت احسان، يالها من حسناء غرّاء. وتزوج من احسان وحملت مباشرة بعد زواجها، وها هي تلد له الولد الذي يرث منصب العمدة من بعده.

كانت احسان في طباعها على العكس من فردوس؛ فعلى الرغم من ألمها من قرب عبد الخالق لها، إلا أنها لم تكن تمتنع عنه، كانت سهلة المنال. لم يشعر يوما بألمها من قربه ولا من دموعها التي تسيل من عيونها كلما اقترب منها، كان حملها وتعبها أثناء الحمل خير مانع يمنعه قربها، وكانت تحمد الله على هذه النعمة.

جاء عبد الخالق للدوّار ليرى أخبار زوجته وولده، وعلم من خديجة أن احسان في حال خطر، وأن القابلة طلبت أن تذهب احسان للمستشفى. رفض عبد الخالق أيضا أن تكشف زوجته

على رجل غريب؛ لذا أرسل في طلب طبيبة المركز الجديدة، وبالفعل جاءت،وحاولت قدر المستطاع إنقاذ احسان والمولود. وأخيرا صمتت احسان، ولم تعد تصرخ بعد أن صرخ المولود، وملأ صراخه أرجاء المنزل، الذي امتلأ فور صراخ المولود بزغاريد النساء فرحة بالمولود.

عندما خرجت الطبيبة من حجرة احسان قالت لهم أن المولود أنثى، وأن احسان توفت نتيجة للنزيف الشديد جراء صعوبة الولادة، وأنها كان لابد أن تذهب للمستشفى. صمت عبد الخالق ولم ينطق ببنت شفة، لقد كان يحب احسان رحمها الله، ولكن كان ينتظر أن يكون المولود ذكر، ولكنها لاقت ربها، بل وزادت على ذلك بولادتها أنثى! وامتلأت أرجاء المنزل بالصراخ مرة أخرى، ولكن هذه المرة لوفاة احسان، ولكن هل كان حقا ذلك الصراخ لموت إحسان أم لأنها أنجبت أنثى؟؟؟؟

كان لابد أن يختار عبد الخالق اسما للمولودة، فسأل الطبيبة عن اسمها وكان اسمها علياء؛ فأطلق نفس الاسم على ابنته، لم يختر اسما لأنثى، كان قد اختار اسم والده رحمه الله ليطلقه على ولده، ولكن ها قد ولدت له احسان بنتا، لا يعلم ان كان سيكتب لها الحياة أم ستلقى ربها هي الأخرى كما فعل أخواها من قبل.

الفصل الثاني

كانت علياء نسخة من احسان، لها نفس الملامح ونفس الروح. أحبها عبد الخالق كثيرا وقربها منه ودللها، أحضر لها من ترضعها حتى أتمت عامها الأول، لم يتزوج من أخرى، لم يشعر أن امرأة أخرى ستعوضه عن احسان رحمها الله، ووجد أن فردوس تحب علياء وتعاملها كما ابنتها وكذلك خديجة، فاكتفى بفردوس زوجة وأم لابنته داعيا الله أن يرزقه الولد الذي يتمناه.

يعيش في دوار العمدة، العمدة عبد الخالق القناوي (العمدة)، وفردوس (زوجته)، وأولادها الثلاثة من أخيه حامد – رحمه الله، واخته خديجة–التي لم تتزوج حتى الآن، وترفض كل من يتقدم لخطبتها–وابنتهعلياء وبعض الخدم والخفراء.

خديجة هي الابنة الصغرى للحج محمد القناوي، الشقيقة الصغرى لعبد الخالق، تصغره بعام ونصف العام، ملامحها رقيقة، سمراء البشرة، سوداء العيون والشعر، شعرها طويل ينسدل حتى يغطي ظهرها بالكامل، ولكنها تغطيه دائما بطرحتها السمراء –فلا يصح أن يرى الغرباء شعرها وهي سيدة الدار.تعلمت خديجة القراءة والكتابة، ولكن لعادات العائلة لم تخرج للتعليم النظامي، ولكن أحضر لها والدها من يعلمها القراءة والكتابة والقرآن.

كانت خديجة تخاف من الزواج –في حقيقة الأمر –لقد شاهدت زيجة احسان وما حدث بها، وتسمع صرخات فردوس كلما أرادها عبد الخالق. وكانت تجربة حضور ليلة بناء عبد

الخالق بإحسان من أكثر التجارب المؤلمة لها. على الرغم من كونها لم تتزوج –إلا أن والدة احسان ووالدة عبد الخالق متوفيتان، ولا توجد نساء أخريات في العائلة –ووفق العادات والتقاليد لابد أن تحضر سيدة من طرف العريس وأخرى من طرف العروس وقت البناء بالعروس البكر لتشهد فض بكارتها، وتخرج بدليل عفة العروس أمام الجموع، لما كان لا يوجد غيرها من الطرفين أقنعتها النساء بضرورة الحضور لتشهد على عفة احسان، وقد كان.

لا تنسى خديجة ذلك اليوم من ذاكرتها، ولا تفهم حتى الآن لما جرت العادات على ذلك، لما يجب أن تكون ليلة البناء بالبكر هكذا في العلن، حتى فردوس زوجة أخيها حامد خاضت نفس التجربة، ولكن في ذلك الوقت كانت والدتها على قيد الحياة؛ فأعفتها الظروف من هذه التجربة القاسية، ولكنها سمعت الصراخ، ورأت المنديل. وبعد حضور بناء احسان كانت تشعر أن ذلك ليس زواج وإنما هو ذبح لشاة قادتها مقادير الحياة لذلك الوضع، لذلك قررت عدم الزواج. لن تكون احسان أو فردوس أخرى، ولكي تقنع عبد الخالق بذلك، كانت تقول له أن من يتقدم لها طامع في مال وأرض وسلطان لها ولأخيها، ولأن المال والأفدنة والسلطة نقطة ضعف عبد الخالق؛ لذا وافقها دون تفكير، وأصبح هو من يرفض من يتقدم لها دون سؤالها؛ فهو لن يسمح لمتطفل أن يأتي ويطلب منه حق خديجة في أرض أو مال.

رغم جمال خديجة وأنوثتها الطاغية، لم تسمح لأحد أن يقترب منها، وكانت هي سيدة الدار المسيطرة عليه، فلا زوجة من زوجات أخيها تستطيع أن تقف أمام ابنة العمدة وأخت العمدة. لم تستطع ذلك أي منهن، فهن يعرفن مكانتها وقدرها عند عبد الخالق، وكانت احسان تعرف أن خديجة هي من أشارت على عبد الخالق بالزواج منها، وبالتالي كانت خديجة صاحبة معروف لا يمكن أن تنكره احسان. أما فردوس فمنذ زواج عبد الخالق منها، والحرب الضروس التي يشنها عليها عبد الخالق ليحصل على حقه الشرعي منها، كانت تشغلها عن فكرة السيطرة على الدار ومن صاحبة الكلمة فيه.

كانت خديجة هي من تحدد كل شيء في البيت بداية من الطعام والملابس والمشتريات وكل ما يخص الدوارحتى مستلزمات ولادة احسان كانت خديجة هي المشرفة عليها. وموت احسان كانت خديجة هي صاحبة اليد الأولى فيه؛ فلم يكن عبد الخالق ليسمح هو الآخر بذهاب احسان للمستشفى.

بعد وفاة احسان كانت هي المشرفة على المنزل والطفلة الرضيعة، ولكن عبد الخالق طلب منها أن تشارك شئون طفلته مع فردوس، علّها تقدر له ذلك وتتغير. أحبت خديجة علياء كثيرا، وكانت كثيرة المحاولة مع عبد الخالق ليسمح لها بأخذ علياء لنزهة لأهل احسان والخروج من الدوار.

الفصل الثالث

قنا ١٩٧٦

علياء الآن في السادسة من عمرها، وصلت لسن دخول المدرسة وتحاول خديجة مع عبد الخالق –مستغلة حبه الشديد لعلياء وتدليله لها –أن تذهب علياء للمدرسة لتتعلم حتى يأتي لها من يقدرها. علمتها خديجة القراءة وحببتها بها منذ الصغر؛ فقد كانت ترسل من يشتري لها قصص الأطفال لتعلمها القراءة وتحببها بها،تعلقت علياء كثيرا بالقراءة، كما تعلقت بخديجة وفردوس؛فكانت تنادي كلاهما بأمي، ولا تعرف أي منهما هي أمها من عطفهما عليها.

اقتنع عبد الخالق بذهاب علياء للمدرسة ولكن في صحبة الخفراء، وبدأت الدراسة وكانت علياء متفوقة في دراستها. كانت المدرسات تستغرب من نباتها وذكائها، وهو نادر في الأطفال في ذلك السن.

كان الجميع في المدرسة يحاول كسب رضائها، مدرسو المدرسة والناظر والمدير وحتى السعاة، كانت سعادة علياء غايتهم حتى يتجنبوا غضب العمدة، لم يكن أحدا من الطلبة مسموح له بالاقتراب منها أو يتكلم معها، فهي في المدرسة يتعامل معها الجميع أنها ملكة وإسعادها غاية الجميع.

وكان عبد الخالق يقدر ذلك، ويكثر من التبرع للمدرسة، ولا يرد طلب أحد منهم؛ كان يفعل ذلكمراعاة لراحة علياء، وكي يضمن ألا يضايقها أي شخص. وكان غضبه شديد إذا علم أن أحدهم أغضبها أو تسبب في بكائها.

وبسبب المعاملة الخاصة التي تحظى بها علياء في المدرسة، ابتعد عنها الطلبة وأصبحت تشعر بالوحدة الشديدة، فلا المدرسون يسمحون لأحد بالاقتراب منها أو حتى مشاركتها مقعد المدرسة؛ فهي تجلس في الصف الأول أمام المدرس ولا أحد يجلس بجانبها على العكس من باقي زملائها في المدرسة؛ يجلس ثلاثة منهم على مقعد واحد، ولا يجرؤ أيهم على مشاركتها المقعد. ومن لم يمنعه المدرسون الاقتراب منها منعه أهله عن ذلك تجنبا لبطش عبد الخالق، إذا حدثت أي مشاجرة بين الأطفال وبكت علياء.

لم يكن عبد الخالق يتوقع أن يحب علياء لتلك الدرجة؛ فهو أحبها في البداية لأنها جزء من احسان، وتنازل وأحبها رغم كونها أنثى، وسمح لها بدخول المدرسة، وذلك اكراما لخديجة أخته. ولكن هو نفسه لم يكن يتخيل أن يتملكه حب علياء لتلك الدرجة، طلباتها مجابة دون نقاش. من يتسبب في بكائها لا يعرف كيف سيبطش به عبد الخالق، إنها "حبيبة أبيها" كما أطلقت عليها

خديجة.

وصلت علياء الآن للصف الثالث الابتدائي، أي أنها أتمت تسع سنوات من عمرها، وقد رأت خديجة أن موعد ختان علياء قد حان؛ لذا نبهت أخيها أن علياء قد كبرت ولابد لها من الختان، ولكن بسبب حبها لعلياء طلبت منه أن تقوم بالختان طبيبة المركز وليس القابلة، نذير الشؤم –كما كانت تطلق عليها –بسببها ماتت احسان وتوفى صبيان، ذلك كما كانت تعتقد خديجة، فهي لا تعترف حتى الآن أنها وعبد الخالق السبب الرئيس في موت احسان.

حاولت فردوس جاهدة منع ذلك، ولكن باءت كل محاولاتهابالفشل وهي تحاول اقناع عبد الخالق بعدم ختان علياءأو حتى محاولاتها معه أن يسأل الطبيبة عن ضرورته قبل المطالبة به. ولكن مرة أخرى، كانت العادات والتقاليد هي التي تتحكم فيما يجب أن يتم. لم يشفع حب عبد الخالق لابنته ولا حب خديجة لها فيما تفرضه عادات المجتمع وتقاليده. اقتنع عبد الخالق برأي خديجة، أن تكون الطبيبة هي القائمة على الختان وليس القابلة، وبالفعل أرسل للطبيبة ولكنها رفضت أن تقوم بذلك، خوفا منها على حياة الطفلة، ولكن بعد إلحاح خديجة وعبد الخالق وافقت الطبيبة، وتم الاتفاق أن يتم ذلك في الدوار.

كانت علياء في التاسعة من عمرها، سوداء العيون، حالكة سواد الشعر–كأنه الليل–شعرهاناعم طويل ينسدل بنعومة وخفة على ظهرها. ولكن كانت خديجة تقوم بتضفيره لها قبل الخروج من المنزل؛ لأنها طفلة ولابد أن يكون شعر الأطفال هكذا. كانت علياء نسخة من أمها احسان جميلة وخمرية ممشوقة القد، ذات ملامح رقيقة وبريئة، يشعر كل من ينظر إليها بالراحة.

عادت علياء من المدرسة في ذلك اليوم الموعود ووجدت البيت به الكثير من الحركة، والجميع ينظر لها نظرة غريبة لم تعرف سببها، حتى أولاد عمها عادل ومأمون وخيري تركوا الدوار وعندما سألت عنهم قالوا لها أنهم مع أبيهم في المندرة.

لم تعرف علياء لما شعرت بالخوف، فلجأت إلى خديجة تسألها عما يحدث، فهي تدرك وتوقن أن خديجة تعرف كل صغيرة وكبيرة في البيت أكثر من فردوس، وأن خديجة هي من تدير هذا البيت

-أمي، ماذا يحدث، أشعر بحركة غريبة في البيت؟

-لا شيء يا صغيرتي، فقط هذا حفل خاص بك، هيا لتغتسلي وسأقوم على ذلك بنفسي، وأحضرك للحفل

لم تفهم علياء ماذا تقصد خديجة بذلك، لم يهتم أحد قبل ذلك بالاهتمام بعيد مولدها، لم يحتفل به أحد من قبل.إنها تعلم أنه الذكرى السنوية لوفاة والدتها احسان، فقط زميلاتها في

المدرسة والمدرسات يقلن لها كل عام وانت بخير، ولا يعرفوا أنها رغم صغر سنها تشعر أنها مسئولة عن وفاة والدتها، لولا ولادتها لكانت احسان تعيش الآن وتتحرك، ولكنها هي سبب موتها، تكره يوم ولادتها إنه الذكر السنوية لوفاة أمها الحقيقية، ولكم تشعر بالشوق لها تحلم بها كل يوم وهي ترقد جانبها وتأخذها في أحضانها لتشعر بحنانها.

ولكن هذه المرة الأولى التي يعج فيها الدار بهذا العدد من العاملين به، وتقوم أمها خديجة بتحميمها، شيء غريب. وكان أغرب ما لاحظته علياء هو تلك السيدة التي تنظرها في حجرتها، ويبدو أنها منشغلة في شيء ما لا تعرفه.

انتهت خديجة من تحميم الصغيرة، وإلباسها ملابسها وأتت بها على غرفتها. كانت تعرف خديجة ماذا سيحدث وكيف ستتصرف الطفلة؛ لذا طلبت من احدى الخادمات الوقوف معها لمساعدتها على الامساك بعلياء وتطويقها جيدا حتى ينتهي الختان.

خديجة: علياء استلقي على الفراش يا صغيرتي كي تفحصك الطبيبة

علياء: وهل أنا مريضة يا أمي؟

خديجة: كلا يا صغيرتي ولكن لابد أن تفحصك الطبيبة

رضخت علياء لكلام عمتها واستلقت على الفراش، خلعت

عنها خديجة ملابسها الداخلية وكشفت عورتها، شعرت الفتاة بخوف كبير، ماذا يحدث لها، وماذا تفعل بها خديجة، إنها تعرف حب خديجة لها، ولكنها تخاف مما يحدث.

ودون سابق إنذار طوقت خديجة والخادمة علياء وفتحتا قدمها لتتكشف عورتها بالكامل واضحة أمام الطبيبة لتقوم بالختان، بدأت الصغيرة بالبكاء ثم الصراخ علّه يشفع لها عند عمتها وهذه الغريبة، التي بدأت تعبث بيديها في عورتها، وتخرج أدوات من حقيبة صغيرة بجانبها ولأول مرة تتحدث الغريبة

الطبيبة (موجهة كلامها لخديجة): الفتاة ماتزال صغيرة جدا ولا تحتاج لختان، ختانها سيؤدي لمشاكل لها بعد الزواج

خديجة: فقط قومي بما اتفقنا عليه، شرف الفتاة وعفتها في الختان

الطبيبة: استحلفك بالله، إنك بذلك تكبين شهادة وفاتها كزوجة، إنها ماتزال طفلة لم تتجاوز عامها التاسع!

خديجة: الختان شرف الفتاة وهو من عادتنا ولن تغيري أنت ذلك، ولابد أن تقومي به الآن وإلا قامت به القابلة

الطبيبة: لقد أنذرتك،

ثم وجهت الطبيبة حديثها للطفلة: طفلتي سوف أعطيك حقنة الآن ستؤلمك قليلا ولكن لن تشعري بألم بعدها

لم تنتظر الطبيبة أي رد من الطفلة، فبكاء الطفلة وصراخها كان يقتلها، ولكن عليها أن تفعل ذلك، وإلا تسبب العمدة في نقلها من المركز وربما المحافظة بأسرها، وهي تريد إنهاء فترتها للعمل بالمركز على خير دون مشاكل، اعتادت إجراء عمليات الختان منذ أن وطئت قدمها هذه القرية. كانت هناك فتيات يحتجن فعلا لهذه العملية كنوع من العمليات التجميلية، وأخريات قضت هذه العملية على مستقبلهن كزوجات، واشتركن جميعا في كونهن فتيات صغيرات لم تتجاوز أكبرهن عامها التاسع وبعضهن كان الأهل يصرون على ختانهن عقب الولادة والبعض قبل أن تصل الفتاة للخامسة. كانت تستاء الطبيبة كثيرا من هذه العادات، وتلعن حظها التعس الذي جعل فترة الامتياز الخاص بها في الصعيد.

أعطت الطبيبة حقنة المخدر للفتاة ولكنها مازالت تبكي وتصرخ، لدرجة اضطرت أن تضع خديجة يديها على فم الفتاة حتى لا تخرج مزيدا من الصراخ، طلبت منهما الطبيبة أن يفتحا قدمها أكثر كي تتمكن من إنهاء هذه العملية، وبالفعل أنهت الطبيبة الختان، حاولت قدر ما تستطيع الحفاظ على مستقبل الفتاة كزوجة، ولكنها تعلم أنها تركت أثرا لن تمحوه السنون.

امتلأ الفراش بدم علياء، وسكنت صرخاتها مع بدء مفعول المخدر الذي أعطته لها الطبيبة،وأكدت الطبيبة على خديجة

اعطاء المسكن للصغيرة كلما استيقظت، وطلبت منهم ألا تتحرك من فراشها لمدة اسبوع كامل، وأقيمت الولائم والاحتفالات في القرية بعد الختان.

كان ذلك اليوم كارثة في حياة علياء، لم تعرف لماذا ذبحوها؟ ولماذا فعلوا بها ما فعلوه؟ تجربة قاسية، أن تكشف عورتها عنوة، وتجرح عنوة؛ لتنطلق بعد جرحها الزغاريد، أي ذنب جنته ليفعل بها هؤلاء ذلك؟لماذا تركتها عمتها يفعل بها ذلك بل وساعدت به؟ أين اختفت فردوس؟ ولماذا لم تدافع عنها؟ لماذا فرح الجميع بما حدث معها؟

منذ ختانها أصبحت بالكاد تذهب للمدرسة وتتلقى دروسها، انخفض مستوى تحصيلها في هذه الفترة، ولكنها مازالت متفوقة، ولكن انخفض مستواها الدراسي عن ذي قبل. أصبحت منطوية على نفسها، كثيرة البكاء، لم تتكلم مع أحد عن ذلك اليوم، ولكنه ظل عالقا في عقلها لا تنسى تفاصيله.

منذ ختانها لم يعد مسموح لها بزيارة أصدقائها، بل يعد مسموح لها أن يكون لها أصدقاء، فقط هي تذهب للمدرسة وتعود لتذاكر دروسها ثم تقرأ، لم يعد مسموح لها حتى بالكلام مع أولاد عمها ولا تعلم لماذا؟

الفصل الرابع

كان عادل أكبر أولاد حامد عم علياء –رحمه الله–هو الآن في الصفالثالث الإعدادي، لقد أحب أن يكون مثل عمه عبد الخالق، كان يراه مثله الأعلى، لذا أراد أن يدخل الجامعة وهو يجتهد في مذاكرته ليدخل كلية الزراعة مثلما فعل عبد الخالق، مأمون الآن في الصف الثاني الإعدادي في ذات مدرسة عادل، أما خيري لم تكن له رغبة في التعليم فمازال في الصف الرابع الابتدائي لكثرة رسوبه؛ فهو لا يحب الدراسة وينوي أن يصل للدبلوم وكفى، كما فعل والده.

كان عادل أشبه ما يكون بعبد الخالق فهو وسيم الطلعة، هادئ الملامح، تخفي ملامحه غلظة شديدة تكتنف باطنه، يحب عبد الخالق، شديد التعصب للعادات والتقاليد، ينتظر حتى ينهي دراسته ليطالب عمه بنصيبه من ميراث أبيه ليشرف عليه ويتولى شئونه.حيث يرى عادل أن عمه ظل عاكفًا على حقوقه وحقوق أخوته فترة طويلة ويجب أن يشاركه أحدهم هذا العبء.

مأمون هادئ الطباع وهادئ الملامح، يحب الدراسة، وينوي أن يدرس الحقوق، فرغم صغر سنه يرى أن النساء في القرية كما عرفهن لا يحصلن على حقوقهن، ووالدته خير مثال،حيث تغلبت العادات والتقاليد على الدين في قريته، فكان يحاول جاهدا أن يدرس ويفهم ليعطي كل ذي حق حقه. كان

يحب عمه ولكن يشعر بالضيق منه في بعض تصرفاته.

أما خيري كان يحقد على عمه بشدة، ويرى أنه ظلم والدته. مازال صوت صراخ والدته عندما يكون عبد الخالق معها يصم آذانه، وصوت صراخ احسان يوم زواجها، كان الصراخ في القرية يصم آذانه، ولا يعرف لماذا يقترن الفرح دائما في قريته بالصراخ، لماذا يفرح الجميع بصراخ النساء؟ حتى إنه مازال يتذكر صراخ احسان، وصراخ طفلتها الذي أعقبته الزغاريد، دائما صراخ النساء يعقبه الفرح. عاهد نفسه أن ينتقم لأمه من عبد الخالق، ولكنه لم يعرف كيف ينتقم منه حتى الآن، ينتظر هو الآخر حتى يأخذ نصيبه من ميراث أبيه، فقط ينتظر أن يتم واحد وعشرين سنة.

قنا ١٩٨٠

تحمل فردوس الآن في أحشائها طفلها من عبد الخالق، هي الآن في شهرها الخامس، جعلها حملها تبتعد بعض الشيء عن الجميع، كان تعب الحمل شديد عليها ولم تعد قادرة عليه، وظل تعب الحمل يلازمها حتى أنجبت ولدها محمد.

كان الدوار مقسم لأكثر من جزء، جزء خاص بالمندرة والمضيفة وهو بعيد عن الدوار ولا يكشفه، وهناك جزء خاص بالفرن ونشر الغسيل والمطبخ والحظيرة، وفيه يقوم الخدم بتخضير الطعام وتنظيف الغسيل وتربية الماشية، وأخيرا الدوار الأصلي حيث ينقسم هو الآخر لطابقين، الطابق الأول ويسكن به أولاد فرودوس الذكور لكل منهم حجرة خاصة به، حتى محمد له حجرة خاصة به مع الذكور، وبذلك الدور أيضا طاولة الطعام التي تتجمع عليها العائلة لتناول طعامها، والتجمع عليها من المراسم التي لا يتنازل عنها أبدا عبد الخالق.

أما الطابق الثاني فيحتوي على غرفة لخديجة وأخرى لعلياء وأخيرة لفردوس ولكل حجرة الحمام الخاص بها ولكن التليفزيون منع أن يكون في حجرتهن لابد أن يكون في بهو الدور وهو تليفزيونا واحد لهن جميعا، ومعه أثاث غالي الثمن رفيع الذوق، اشتراه عبد الخالق من القاهرة، وبه مكتبة كبيرة ترتكن

على الحائط الأكبر للبهو تضم كافة الكتب والروايات التي اشترتها خديجة وعلياء للقراءة.

أطلق عبد الخالق على الطابق الثاني طابق الحريم، ومنذ بلوغ علياء هو محرم على أولاد فردوس الذكور؛ أراد عبد الخالق منع الاختلاط والحفاظ على حرمة حريمه، رغم أن الجميع يجتمع في الدور الأرضي ومأمون يساعد علياء في دراستها في الدور السفلي والجميع يجتمع فيه للطعام ولكن طابق الحريم محرم طابق محرم على جميع الذكور في المنزل عدا هو وولده محمد.

وكان مولد محمد عيد في دوّار العمدة، لقد ولد العمدة الصغير، أخيرا ولد لعبد الخالق الولد الذي سيحمل اسمه ويرث منه منصب العمودية. فعلى الرغم من حب عبد الخالق لابنته، لكنه كان يعلم أنها لن ترث شيئا وهو لن يكتب لها شيئا باسمها، فالعادات والتقاليد تقضي بذلك؛ ولكنه كان يخاف أن يموت ويتركها قبل أن تتزوج وبلا أخ يقف بجانبها ويرث اسمه وأمواله ومنصبه، أما الآن فهو يشعر بفرحة عارمة، بمجرد أن علم أن مولوده ذكر اطمئن على ابنته، كأن هذا الصغير هو من سيحميها ويقف جانبها، إذا هو توفى الآن.

وبالطبع بعد إنجاب فردوس لمحمد أصبح منصب العمدة

من نصيبه وحقه هو دون أولاد فردوس الذكور، لم يعن ذلك شيئا لعلياء، ولكنها شعرت أنها ستصبح خديجة الأخرى، ستكون ابنة العمدة وأخت العمدة. هي تحب خديجة كأنها والدتها، وتعلم أنه لولا إصرار خديجة على إكمالها لتعليمها ما كانت وصلت الآن إلى المرحلة الثانوية، كما تعلم أنها أرغمتها على الحجاب لتستطيع الخروج من الدوّار دون أن تطالها الألسن، وساعدتها في رفض كل من تقدم لها منذ بلغت مبلغ النساء؛ حيث أقنعت عبد الخالق أن ابنته تستحق من هو أفضل، ولكن مازالت تشعر بغصة شديدة تبعدها عن خديجة كلما حاولت أن تقترب منها.

وقفت خديجة أمام محاولات عادل المستميتة ضد خروج علياء من القرية للمدرسة الثانوية، فقد اجتهد كي يوقف خروجها من القرية وكان يحارب ألا تدخل الثانوية وتكتفي في تعليمها بالشهادة الإعدادية وتنتظر زواجها كما تفعل كل الفتيات؛ فلا داعي لخروجها كي لا تطالها الألسن بالسوء. حرصت خديجة على ارتداء علياء للحجاب وهي ذاهبة للمدرسة، أما عادل فكان يرى أن علياء من حقه أن يتزوجها باعتباره أكبر أولاد عمها وبالتالي هي من نصيبه، إلا أنه لم تأت له الجرأة للتصريح بذلك، ولم تواته يوما الشجاعة لكي يعلن سبب ممانعته الحقيقي في خروجها من القرية، أنه يحبها وعنده يقين أن الفتاة تحافظ على

نفسها إذا كانت تحت مرأى أهلها ولكن ما إن تخرج من نطاق مراقبتهم فهي تفعل ما يحلو لها. كان ذلك هو تفكيره؛ فهو يرى أن مجرد ذهاب علياء للمدرسة الثانوية خارج القرية، هو بمثابة تصريح لها بعدم الحفاظ على شرف عائلتها وبالتالي شرفه هو أيضا.

كان عادل يحب النساء كثيرا؛ لذا اختار أن تكون كليته في القاهرة بعيدا عن الصعيد ومشاكل الثأر والعادات والتقاليد، كما كان يعتقد أن فتيات المدينة لسن كفتيات الصعيد، ففي الصعيد لو فكر فقط في مغازلة فتاة سيكون مصيره القتل والسمعة السيئة، أما في المدينة فلا أهمية لمثل تلك الترهات –كما يراها عادل– فالفتيات مثل الأزهار يعشق أن يشتمها ثم يتركها، كانت له مغامرات غرامية كثيرة في الجامعة، وكانت له علاقات كثيرة بفتيات منهن من فقدت عذريتها معه وأخريات أعطينه ما يريد دون أن يفقدن عذريتهن –في مجتمع كانت العذرية هي الطريق الوحيد لإثبات العفة والطهارة. وكان ينتقي الفتاة التي يشعر أنها لم يلمسها أحد قبله؛ فيعشق أن يكون هو أول من يأخذ ما يريد منهن ثم يهرب. هو متأكد أنه لن يتزوج من فتاة سلمت له نفسها ليأخذ منها ما يريد، حتى لو كان ذلك باسم الحب الذي يخدعهن به.

لذلك كان يرى أن علياء ستكون زهرة يشمها غيره، وهو ما لا يرضى به؛ كيف يتزوج من لمسها غيره حتى وإن كان ذلك مجرد شك في عقله فقط، ففي نظره أصبحت علياء خارج نطاق سيطرته وسيطرة والدها، ولكن خديجة وقفت في وجهه وأكملت علياء تعليمها ودخلت المدرسة الثانوية.

أصبحت علياء شابة جميلة ورقيقة، أجبرتها عمتها على ارتداء الحجاب دون أن تعلم لماذا ترتديه أو ما هو الحجاب؛ لذا كانت تحرص أن تظهر جزء من شعرها من الحجاب. هي الآن في الصف الأول الثانوي، تعرفت هناك علياء على الكثير من الفتيات، ولكن لم تكن لها منهن صديقة.

كانت مدرستها بعيدة عن القرية، لذا لم يكن هناك مجال لسطوة عبد الخالق وسيطرته، لأول مرة تعيش علياء حياتها الدراسية طبيعية دون أن يصانعها أو يداهنها أحد. كانت تعرف وهي في مدرسة القرية أن الجميع يهابها بسبب سطوة والدها، كم فرحت والمدرسون يعاملنها كطالبة متفوقة دون مداهنة أو خوف من والدها، أصبحت تشارك مقعدها مع زميلاتها، تختار مكانها الذي تحبه، وكذا تختار مع من تتحدث.

كانت فرحة علياء شديدة عندما أخبرها والدها أن المحافظ سيكرمها لأنها الأولى على المحافظة في الصف الثالث

الإعدادي، وزادت فرحتها عندما رأت فرحة والدها بها وافتخاره بأنها ابنته. رغم حب عبد الخالق لها، كانت تشعر أنه يخجل منها لأنها أنثى وليست ذكرا، كم تمنت أن تكون ذكرا ليفتخر بها والدها ويسعد، ولكن الحقيقة والأمر الواقع أنها أنثى، وهو واقع لن يتغير وعليها تقبله كما هو، ولكن فرحة والدها بها كانت كبيرة وإشارة والدها لتكريمها في كل وقت، جعلها تثق في نفسها وأنها لن تخذل والدها وستتفوق في دراستها وتكون له فخرا.

في هذه الفترة،تعرفت على الكثير مما كانت لا تعرفه، لقد فهمت الآن ما حدث لها وهي في التاسعة من عمرها، لقد فعلوا ذلك بها لتكون عفيفة طاهرة، ولكنها بالحديث مع الفتيات – حيث الحديث عن الختان والموضوعات الجنسية من الموضوعات المفضلة للفتيات في ذلك السن –علمت أنهن جميعا خضن نفس التجربة، شعرن بذات المشاعر المختلطة بين الخوف والحزن والكراهية للأهل.

في هذه الفترة قرأت علياء الكثير من الكتب في مختلف المجالات، كانت تريد أن تعرف وأن تفهم ما يدور حولها، الكثير من الممارسات اليومية في الدوّار والقرية لم تكن تفهمها وأرادت أن تفهم ذلك من الكتب؛ فقد علمتها خديجة –منذ نعومة أظفارها –مصادقةالكتب وحبها، وشغفت بالكتب شغفا كبيرا،

قرأت في الكثير من المجالات، الفقه والتفسير والعبادات والطب وغيرها من المجالات، كما قرأت العديد من الروايات الرومانسية والبوليسية والاجتماعية.

كانت تشعر بشيء ما يجذبها لعادل رغم تشدده معها في أي حديث أو أي موضوعات تطرح على مائدة الطعام، لم يساعدها في دراستها كما فعل مأمون رغم انشغاله في دراسته، لم يثن على شيء فعلته، ولكن كانت تشعر بشيء ما يجذبها له، إنه الحب لقد عرفت ذلك من الوهلة الأولى، كان كبيرا في نظرها؛ كان يحميها منذ وعت على هذه الحياة، لا تخاف من شيء ولا تهاب أحدا تعرف أن عادل معها لن يضربها طفل أو يسرق ما معها من حلوى، بل وتعرف أيضا أن عادل سيجلب لها الحلوى.

ولكن مازالت لا تفهم سبب هجوم عادل عليها ورفضه دخولها المدرسة الثانوية، كانت تتوقع أن يبارك لك ويفرح بتفوقها ويساعد خديجة في اقناع عبد الخالق بضرورة دخولها الثانوية العامة ثم الجامعة، ولكن فوجئت به يحارب كي لا تكمل تعليمها.

أصبح عادل شديد القسوة، بل تشعر أحيانا أنه يتعمد هذه القسوة معها منذ دخلت المدرسة الثانوية؛ حيث كانت تدور بينها وبين والدها وعمتها وأولاد عمها العديد من المناقشات على

مائدة الطعام، تحاول أن تفهم منهم أشياء عدة، منها ما سمعته من خيري عن حق فردوس في ميراث زوجها الذي رفض عبد الخالق أن يعطيه لها ولا تنسى ذلك اليوم أبدا لقد تدخل الجميع في النقاش

علياء: والدي لماذا لم تعط أمي خديجة وأمي فردوس نصيبهن في ميراثهما؟

عبد الخالق: لماذا السؤال؟ هل اشتكت لك أي منهما؟

خديجة: انتظر يا عبد الخالق، يا علياء النساء في الصعيد لا ترث، هذا هو العرف وهذه هي التقاليد

علياء: ولماذا لا ترث، وهذا ما شرعه الله للنساء؟

عبد الخالق: إنها عادات لا يمكننا التخلي عنها،

وقبل أن يكمل

عادل: كيف تأخذ النساء تعب أبيها لتنفقه على رجل غريب، أتريدين أن يحصد الغريب تعب الأهل؟

علياء: ولكن الله سبحانه وتعالى شرعه لهن، ولم يقل ألا تظل بلا زواج لترث، حتى التي تظل بلا زواج لا تحصل على شيء

مأمون: ارتاحي من الجدل يا علياء، هنا العادات والتقاليد

أقوى من الدين وأحكامه، هنا تطبق العادات والتقاليد ولا يطبق الشرع إلا على هوى النفس

عبد الخالق (بغضب): استغفر الله العظيم، ماذا تقول يا مأمون، نحن لا نخاف الله ولا نطبق شرعه؟

مأمون: أجل يا عمي فالعادات والتقاليد أهم من دين الله وشرعه والخوف من الله تعالى، فقد قال سبحانه وتعالى في سورة النساء الآية السابعة

"لِّلرِّجَالِنَصِيبٌمِّمَّاتَرَكَالْوَالِدَانِوَالأَقْرَبُونَوَلِلنِّسَاءنَصِيبٌمِّمَّاتَرَكَالْوَالِدَانِوَالأَقْرَبُونَمِمَّاقَلَّمِنْهُأَوْكَثُرَنَصِيباًمَّفْرُوضاً"ويقول تعالى أيضا في نفس السورة في الآيتان الحادية عشر والثانية عشر "يُوصِيكُمُاللّهُفِيأَوْلاَدِكُمْلِلذَّكَرِمِثْلُحَظِّالأُنثَيَيْنِفَإِنكُنَّنِسَاءفَوْقَاثْنَتَيْنِفَلَهُنَّثُلُثَامَاتَرَكَوَإِنكَانَتْوَاحِدَةً فَلَهَاالنِّصْفُوَلأَبَوَيْهِلِكُلِّوَاحِدٍمِّنْهُمَاالسُّدُسُمِمَّاتَرَكَإِنكَانَلَهُوَلَدٌفَإِنلَّمْيَكُنلَّهُوَلَدٌوَوَرِثَهُأَبَوَاهُفَلأُمِّهِالثُّلُثُفَإِنكَانَلَهُإِخْوَةٌفَلأُمِّهِالسُّدُسُمِنبَعْدِوَصِيَّةٍيُوصِيبِهَاأَوْدَيْنٍآبَآؤُكُمْوَأَبناؤُكُمْلاَتَدْرُونَأَيُّهُمْأَقْرَبُلَكُمْنَفْعاًفَرِيضَةً مِّنَاللّهِإِنَّاللّهَكَانَعَلِيماحَكِيماً (١١) وَلَكُمْنِصْفُمَاتَرَكَأَزْوَاجُكُمْإِنلَّمْيَكُنلَّهُنَّوَلَدٌفَإِنكَانَلَهُنَّوَلَدٌفَلَكُمُالرُّبُعُمِمَّاتَرَكْنَمِنبَعْدِوَصِيَّةٍيُوصِينَبِهَاأَوْدَيْنٍوَلَهُنَّالرُّبُعُمِمَّاتَرَكْتُمْإِنلَّمْيَكُنلَّكُمْوَلَدٌفَإِنكَانَلَكُمْوَلَدٌفَلَهُنَّالثُّمُنُمِمَّاتَرَكْتُممِّنبَعْدِوَصِيَّةٍتُوصُونَبِهَاأَوْدَيْنٍوَإِنكَانَرَجُلٌيُورَثُكَلاَلَةً أَوامْرَأَةٌوَلَهُأَخٌأَوْأُخْتٌفَلِكُلِّوَاحِدٍمِّنْهُمَاالسُّدُسُفَإِنكَانُوَاْأَ

كْثَرَ مِنذَلِكَفَهُمْشُرَكَاءفِيالثُّلُثِمِنبَعْدِوَصِيَّةٍيُوصَىبِهَاأَوْدَيْنٍغَيْرَمُضَآرٍّوَصِيَّةًمِّنَاللَّهِوَاللَّهُعَلِيمٌحَلِيمٌ (١٢)" كما يقول في الآية ١٧٦ من نفس السورة

"يَسْتَفْتُونَكَقُلِاللَّهُيُفْتِيكُمْفِيالْكَلاَلَةِإِنِامْرُؤٌهَلَكَلَيْسَلَهُوَلَدٌوَلَهُأُخْتٌفَلَهَانِصْفُمَاتَرَكَوَهُوَيَرِثُهَاإِنلَّمْيَكُنلَّهَاوَلَدٌفَإِنكَانَتَااثْنَتَيْنِفَلَهُمَاالثُّلُثَانِمِمَّاتَرَكَوَإِنكَانُوٓاْإِخْوَةً رِّجَالاًوَنِسَاءفَلِلذَّكَرِمِثْلُحَظِّالأُنثَيَيْنِيُبَيِّنُاللَّهُلَكُمْأَنتَضِلُّواْوَاللَّهُبِكُلِّشَيْءٍعَلِيمٌ"أي أن الله سبحانه وتعالى أنزل في الكتاب أن النساء ترث ولكن نحن قلنا لن ترث النساء ولن نطبق شرع الله، هذا ما يحدث.

علياء: ولكن لماذا لم تطالب النساء بحقوقها في الميراث، ألا يساعدها القانون في الحصول على حقها؟

مأمون: القانون يعطي للمرأة حقها في الميراث، فإذا توفى أي شخص قبل توزيع التركة لابد من إعلان للوراثة يشمل كل ذوي القربة من المتوفى وتقرر المحكمة نصيب كل منهم حسب درجة الاستحقاق والقرابة، إلا أن ما يحدث أن غالبية النساء ليست لهن أوراق تثبت وجودهن ولا يعرفن القراءة أو الكتابة فلا وجود قانوني لهن والتي يستخرج لها شهادة ميلاد لا تعرف القراءة أو الكتابة وحصلت على ختم مكانه دائما مع الزوج أو الأخ يتصرف به كما شاء وينقل ملكية ما حكمت به المحكمة للمرأة لصالحه

هو.

علياء: ولا عقوبة لذلك؟

مأمون: العقوبة موجودة، ولكن هل قدمت أي سيدة بلاغ بحرمانها من الميراث؟ الإجابة لا أحد فعل

عادل: وهل تستطيع أي امرأة أن تفعل ذلك، ستجلب العار على العائلة كلها، وماذا تريد من الميراث وهناك من ينفق عليها وهي لا تنفق شيئا

عبد الخالق: كيف تجرؤ أي امرأة أن تخرج لتقدم بلاغ ضد أب أو زوج، سيكون القبر –بالطبع –مكانها الطبيعي، ولن تحصل على شيء

علياء: ولماذا لم تعطي زوجتك وأختك نصيبهما؟

عادل: وهل اشتكت أمي من ذلك، وماذا تفعل بصيبها لقد تزوجت من أخي زوجها وينفق عليها وعلى أولادها، ماذا تريد أكثر من ذلك

عبد الخالق: إذا خطر على بال أي منكن أن تطالب بميراث وترفع قضايا فالمصير معروف، القبر، انتهى الكلام في ذلك الموضوع

كان الحديث عن ميراث النساء في الصعيد حديثا لن تنساه

علياء ما حيت، فرغم حب والدها لها ولعمتها ولكن كان القبر المكان الطبيعي لهما إذا طالبت أي منهما بميراثها، حديث لخصه مأمون أن شرع الله لا يطبق إلا إذا كان وفق الهوى والعادات والتقاليد.

تعلمت علياء أيضا في تلك الفترة ما هو الحجاب وكيف يكون وشروطه وأحكامه، وعرفت لما يجب عليها ارتدائه؛ فاقتنعت بالحجاب وأحبته، وكانت تسأل نفسها لماذا لم تقل لها خديجة سبب الحجاب لتحبه، ولماذا لم تقل لها أن إظهار الشعر لا يتناسب مع الحجاب، أسئلة كثيرة كانت تدور بخلدها، لماذا لا يحاول الأهل شرح أي شيء للفتيات؟ لماذا عليهن دائما البحث عن إجابات خارج المنزل وخارج نطاق الأهل؟ كلها أسئلة لم تجد لها إجابة.

ومنذ حديث علياء عن الميراث مع والدها أصبح تركيزها على معرفة أحكام الدين في أوضاع المرأة وما هو معمول به منها وما هو معطل بسبب العادات والتقاليد، ووضعت هدفها كما هو هدف مأمون ستحارب حتى تحصل النساء على حقوقها التي فرضها الله لهن. وشغفت أكثر بالقراءة في هذا المجال وساعدها مأمون على ذلك حيث كان يتخير الكتب التي يشتريها لها، فهو يعلم مدى شغفها بالقراءة وكان يختار لها الكتب التي تتحدث

عن النساء في الإسلام والنساء في فترة النبوة وحقوق النساء في الإسلام، أرادها أن تعرف حقوقها لتدافع عنها. كما كان يشتري لها الروايات الاجتماعية والرومانسية التي لا يشتريها لها عمه.

كان مأمون هو سبيلها لشراء كافة الكتب والروايات التي لا يوافق عليها عبد الخالق، ليس لأنها غير لائقة أو تحوي ما يشين، ولكن خوفا أن تعرف ابنته حقوقها وتطالب يوما بها. كانت علياء تحب والدها حبا شديدا وتلتمس فترة وجوده معهم لتتحدث معه وتناقشه، وكان يسعد بها حقا. إنها تكبر يوما بعد يوم، وهي طالبة متفوقة وأصبح محمد يحذو حذوها، إنها مثل محمد الأعلى، ولكن لا تزال حقيقة أنها فتاة وليست وذكرا ولن ترث وليست لها أية حقوق تطالب بها.

رغم أن مأمون يساعد علياء في دروسها ويأتي لها بالكتب التي تقرأها لم تعرف علياء لماذا تتعلق بعادل وليس مأمون رغم إعجابه الشديد بتفكيرها وعقلها. أما مأمون رغم اعجابه بتفكيرها فكان يعلم أن عادل يحب علياء، ولكنه كان يستغرب طريقة عادل معها في التعامل ونظراته الغريبة لها، التي لم تلاحظها علياء أو أي من سيدات الدار، فقط كان يلاحظها مأمون وحذر عادل أكثر من مرة من عاقبة ذلك إذا لاحظه عمه أو عمته.

الفصل الخامس

بعد أن تخرج عادل ومأمون من الجامعة، حصل كل منهما على نصيبه من إرث أبيه وجده. وفضل عادل أن يساعد عمه في تجارته وأعماله وبرع فيها، إلا أنه لم يكن أمينا على أموال عمه، كان يعشق المال –كما يفعل عبد الخالق –ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه عن الحرام كما فعل عمه.

وفضل مأمون أن يكمل دراسته في الحقوق ويحصل على الماجستير والدكتوراه، فهو الأول على دفعته وعين معيدا في الكلية، وأوكل عمه في إدارة أملاكه مقابل نسبة من الأرباح يحصل عليها عبد الخالق، ووافق عبد الخالق، وقدر ثقة ابن أخيه فيه.

حصل خيري على نصيبه من الميراث بعد أن أتم عامه الحادي والعشرين، وطلب الزواج من إحدى قريبات والدته، والتي تعيش في الاسكندرية، وقرر أن يبيع نصيبه لعبد الخالق ويسافر ويعمل في الاسكندرية ويتزوج هناك. كانت رغبة خيري كارثة على والدته، التي وجدت نفسها تبعد عن ولدها مجبرة، وتواجه الثورة العارمة التي أثارتها رغبته في بيع أرضه ونصيبه من الميراث، حتى عبد الخالق رغم أنه المستفيد من ذلك، كانت العادات والتقاليد أقوى من مصلحته الخاصة. لم تكن المشكلة أبدا كونه سيترك القرية وقنا كاملة ليعيش في الإسكندرية، ولكن

كانت المشكلة في رغبته التخلي عن أرضه.

لم يعبأ خيري بكل ذلك، رغم تحذير عمه له، وأصر على البيع. وبالفعل باع نصيبه كاملا ليسافر للإسكندرية للزواج والعمل. لقد كره خيري قريته بل وقنا والصعيد كاملا، لم يستطع تحمل كل هذا القدر من الظلم الذي تعاني منه والدته وابنة عمه، أراد أن يبعد عن كل ذلك، أراد أن يبدأ في مكان ظن أن نسائه لا تظلم، ولكنه أدرك خطأه بعد ذلك. لم يكن الظلم قاصرا على نساء الصعيد، فالنساء في كل مكان أيضا يظلمن، ولكن مع اختلاف شكل الظلم وطريقته.

تزوج خيري من عبير ابنة خالة والدته، تعيش في المنشية، لذا اختار سكنه بالقرب من أهلها في المنشية. وعمل في التجارة هناك، اشترى بنصيبه شقة من الشقق الكبيرة على البحر ومحل لبيع الأثاث، كان يهوى ذلك المجال، لذا اختار العمل به، وساعده حماه على ذلك بعلاقاته المتعددة مع التجار على النجاح وأثبت نفسه في ذلك المجال.

أصر خيري أن يكون الزفاف في الاسكندرية وألا تفضح عروسه كما تفضح كل النساء في القرية، كم فرحت به فردوس كثيرا –خاصة عندما وجدته يخاف على مشاعر عبير –كم افتقدت خوف حامد عليها وحرصه الشديد على مشاعرها، كم تمنت أن

يكون حامد هنا الآن بجانب ولده يساعده في زواجه.

لم يبخل عبد الخالق على خيري في شيء، بل ساعده كثيرا في تأسيس شقته في الاسكندرية وحجز قاعة الزفاف، وكانت هدية عبد الخالق له ولعروسه بالإضافة لمبلغ كبير من المال أن حجز لهما في فندق خمس نجوم من الفنادق التي لا يرتادها إلا السادة الكبار، حجز لهما كذلك طائرة من الاسكندرية ليسافرا إلى شرم الشيخ حيث حجز لهما هناك لقضاء شهر العسل.

على الرغم من رفض عبد الخالق لتصرفات خيري، وخروجه من القرية والزواج من الاسكندرية، فهو يشفق عليه أن تكون علاقته مع زوجته كما هو مع فردوس –فكان يعتقد أن ذلك سببه أن فردوس نست جذورها الصعيدية –ولكنه وقف بجانبه، كان يعلم أن السفر وقضاء شهر العسل من عادات سكان وجه بحري، لذا حجز له هدية منه، فعبد الخالق يعلم أنه عم خيري وفي مكان والده –رحمه الله –لذا وجب عليه أن يحسن لابن أخيه، ويجذل له ما يريد حتى لو خالف ذلك هواه. كل ما كان يضايق عبد الخالق أن خيري باع أرضه، أي باع عرضه، وكان ذلك في عرف القرية وصمة عار، ولكن بعد المفاوضات الكثيرة ولأن البيع سيكون لعبد الخالق، كان شرطه الوحيد على خيري ألا يعلم أي شخص كان أنه باع نصيبه من الأرض، ووافق خيري

على ذلك.

وعلى الرغم من كره خيري لعمه، وذلك لما يشعر به من ألم كلما سمع صراخ والدته عندما يأتيها عبد الخالق، وأنه بلا حيلة ليمنع عنها ذلك؛إنها أصعب لحظة تمر على الرجل أن يشعر أنه بلا حيلة لمنع الضرر على أقرب الناس له، عن والدته التي يحبها، فما فائدته إذن! حتى علياء ابنة عمه كم رأى والدته تتألم كثيرا وقت ختانها وكم آلمه سماع بكائها عقب الختان، وسماع صراخها أثناء الختان. لم يستطع أن يمنع الضرر عن أي شخص، لذا قرر أن يبتعد. ولكن ما فعله معه عبد الخالق وشعوره بحب عبد الخالق له ووقوفه جانبه في زواجه وإعدادات الزواج جعلته يعدل عن فكرة الانتقام، وأن يكتفي بالدعاء لوالدته ولعبد الخالق أن يهدئ الله حالهما.

لم يعرف خيري أنه كبر وأنه يحب عمه إلا بعد ما رأى منه من وقوف جانبه في زواجه، وخوف عليه وعلى صورته أمام الناس، هو يعلم أن جزء من خوف عبد الخالق على صورة العائلة بكاملها وطمع الطامعين في الدخول في ميراث عائلة القناوي، لكن ذلك لم يمنع من شعور خيري بحب عمه وكرهه في ذات الوقت.

الفصل السادس

ذاعت في القرية سمعة عادل السيئة وأنه يتردد على نساء سيئات السمعة؛ مما اضطر عبد الخالق لردعه عما يفعل حفاظا على سمعة الأسرة والعمودية، وطلب منه البحث عن زوجة. لا يمكن أن تكون سمعة عادل سيئة لأن ذلك يؤثر على سمعة العائلة، كما يخاف عبد الخالق من الثأر إذا طالب به زوج أي سيدة من السيدات.

كان عبد الخالق يتمنى أن يتزوج عادل من علياء ليطمئن عليها؛ فهو يرى أن نصيب عادل يكفيه لتعيش ابنته في أرغد العيش، وأنه لتعلمه قد يسمح لها بإكمال تعليمها، ولكنه لا يقوى على أن يقول ذلك لعادل، يراعي عبد الخالق كبرياء ابنته وكبرياؤه هو أيضا، كيف يطلب من عادل أن يتزوج علياء، ويرى أيضا أن ابنته لا يليق بها أحد سوى ابن أخيه، إنها في الثانوية العامة وبالتالي لن يليق بها إلا شخص متعلم ولا يقل في مستواه الاجتماعي عن عبد الخالق.

أطاع عادل عمه وطلب من والدته أن تبحث له عن عروس مناسبة، وحدد لها بعض العائلات ليرى بناتهن، وكان طلبه أن تكون جميلة ومطيعة له، لم يطلب علياء، لأنها خرجت خارج نطاق القرية وأصبح يشك في تمسكها بشرف العائلة والمحافظة عليه، فمن يدري ماذا تفعل وهل تذهب حقا للمدرسة، وماذا

تفعل بعدها؛ لذا لم يطلب علياء من والدته، ولأن فردوس تعلم ابنها وطباعه لم تقترح عليه الزواج من علياء –وذلك لحبها الشديد لعلياء.

أنهت علياء تعليمها الثانوي وكانت من الطلبة الأوائل، اتصل المأمور بعبد الخالق ليخبره أن علياء يجب أن تسافر للقاهرة ليكرمها رئيس الجمهورية فهي من العشر الأوائل على الجمهورية. فرح عبد الخالق بذلك كثيرا، فكما توقع من ابنته أن ترفع رأسه عاليا، وتجعل الجميع يشير إليه بالبنان وها هي قد حققت له ذلك مرة أخرى. ولكن كيف يسافر معها لتكرم وهو وراءه العديد من المشاغل، لن يستطيع أن يترك البلد ليسافر معها، لذا كان الحل أن تسافر خديجة مع علياء وعادل للقاهرة لتكرم علياء وتأتي في اليوم التالي.

إلا أن علياء طلبت من والدها أن يسمح لها بزيارة بعض المعالم التي قرأت عنها في الكتب وأن تذهب لزيارة المتحف والأهرامات، فهي كانت تحب مشاهدة آثار بلدها، ووافق عبد الخالق على الفور، كما وعدها بزيارة يكون معها فيها للأقصر لتشاهد الآثار هناك. ووجد عبد الخالق أن فرصة تواجد عادل مع علياء قد تكون مناسبة أن يعرف كل من عادل وعلياء بعضهما وربما يتقدم لها.

كان طلب علياء السفر للقاهرة ومشاهدة المعالم الأثرية – بالنسبةلعادل –أنهابالفعل أصبحت مثل بنات المدينة، لذا لم يتعامل معها على أنها ابنة عمه، وأنها الأمانة التي وضعها عبد الخالق في رقبته، كما أنه استغرب من موافقة علياء على السفر معه، ورغم أن خديجة معهما وأن خديجة وعلياء لهما غرفة منفصلة عن غرفته، إلا أنه كان يشعر أن علياء أصبحت مثل أية فتاة من المدينة، وكان لابد له أن يختبر مدى حفاظها على نفسها.

سافرت علياء مع خديجة وعادل، كانت الفرحة تسيطر عليهم جميعا، حجز لهم عبد الخالق حجرتين في أحد الفنادق ذات الخمس نجوم في وسط العاصمة ليكونوا قريبين من مكان التكريم وكذا يستطيع عادل مرافقتهما لزيارة الأماكن التي ترغب بها علياء.

كانت مدة السفر التي سمح بها عبد الخالق هي أربعة أيام، زارت خلالها علياء كافة الأماكن التي أرادتها، ولأول مرة يتحدث عادل مع علياء ويشرح لها وهي تكمل له وتصحح له أحيانا بعض المعلومات، أذهلته معرفتها ومعلوماتها، وجمالها. لم يتخيل يوما أنها على هذا القدر من المعرفة والجمال، وعلى قدر جمالها شعر عادل برغبة شديدة تجاهها، أراد أن يأخذها، لم يخف من والدها ولا عمته، وخطط أن يختبر مدى حفاظ علياء على نفسها وعلى

شرف العائلة.

بالفعل اشترى حبوب منومة ووضعها في كأس العصير الخاص بخديجة –دون أن تدري –ونامت خديجة بالفعل وهم يتناولون طعام العشاء، وساعد عادل علياء في اصطحاب خديجة للغرفة، ثم تظاهر بالإعياء وصدقته علياء وطلب منها أن تساعده ليدخل غرفته، كانت غرفتهما متلاصقتان، ساعدته علياء على الدخول لغرفته، فطلب منها أن تساعده حتى يصل للفراش وساعدته علياء بالفعل. ودون أن تعلم ماذا يحدث وجدته يحاول أن ينقض عليها ويأخذها عنوة، تذكرت في هذه اللحظة الطبيبة والختان، شعرت أن هناك وحش أمامها في الغرفة تذكرت صراخ فردوس الذي اعتادت أن تسمعه كل يوم تقريبا، قاومته دون أن تشعر ماذا تفعل، حتى وجدته ملقى على الأرض وقد جرحت رأسه، خافت أن يكون قد مات ولكنها وجدته يتنفس، خرجت وأغلقت عليه باب الغرفة ودلفت لغرفتها.

لم تستطع علياء أن تنام في تلك الليلة صورة عادل ومحاولته اغتصابها، وصوت فردوس وصراخها كل ليلة وصور الختان وكافة المشاعر السيئة التي مرت بها في هذه التجربة كانت تتوالى كلما أغمضت عينيها، صرخت دون وعي منها فاستيقظت خديجة على صراخها، واحتضنتها، ظنت أنها راودها كابوس

سيء.

لقد اعتادت خديجة أن تصرخ علياء في منتصف الليل كلما نامت بعد صراخ فردوس، منذ أن علمت سبب صراخ فردوس. دائما تراودها الأحلام المزعجة والكوابيس، لم تستطع أن تشفيها من تلك الكوابيس، وكيف تفعل وهي الأخرى ترى ذات الكابوس. لم تستطع علياء أن تعلن ما فعله عادل معها، ولم تعرف ماذا سيقول عادل عما حدث له، لابد من السفر الآن.

سافر الجميع في اليوم التالي، كانت خديجة تشعر بسعادة غامرة، لقد سافرت للقاهرة وتنزهت بها، لقد أصبحت علياء مشهورة ومن الأوائل في دراستها، والآن سيقتنع عبد الخالق بتركها تذهب للجامعة.

عندما ذهبت خديجة لغرفة عادل لتوقظه، بعد أن تأخر في الاستيقاظ، فتح لها الغرفة وفوجئت عندما شاهدته، ورأت جرح يعلو رأسه وآثار لأظافر التي تملأ وجهه ورقبته،ولكنها لم تقتنع بتبريره للجرح وآثار الأظافر.

خديجةتجري على عادل وتحتضنه: ما هذا يا ولدي، ما هذه الجروح؟

عادل وهو مرتبك قليلا ولا يستطيع النظر لعلياء ولكنه فهم

أن عمته لا تعرف شيئا: لقد وقعت ياعمتي من على الفراش دون أن أشعر وضرب رأسي بجانب الفراش

خديجة غير مصدقة ولكنها تتظاهر بعكس ذلك: وما تلك الخدوش؟

عادل: لا شيء يبدو أنني خدشت نفسي أثناء النوم

لم تصدق خديجة حرفا مما قاله عادل، ولكنها شعرت ببعض التوتر بسبب نظرات عادل وعلياء لبعضهما، كانت نظرات علياء مملوءة بالغضب والحقد والرغبة في الانتقام، أما عادل كانت نظراته بها خوف وتردد، نظرات من ارتكب جريمة ولكنه يخاف من العقاب. كانت نظرات عادل لعلياء تريح خديجة؛ إذ أنها تعلم أن الرجل إذا حصل مبتغاه من المرأة لن تكون نظراته نظرات خوف وتردد بل ستكون نظرات المنتصر الظافر، إلا أن ما يقلقها هي نظرات الانتقام التي تراها في عين علياء.

كانت تخشى خديجة أن تكون ظنونها صحيحة، فذلك يعني ولادة الثأر في العائلة، سيكون الثأر بين عادل وأخوته وأخيها وابن أخيها الصغير. "كم أنت مجنون يا عادل لتفكر في ذلك، كيف لم تدرك عاقبة فعلتك" هكذا كانت خديجة تحدث نفسها، لم تجد مفرا من مصارحة علياء بشكوكها، خاصة بعد تجنب كل منهما للآخر بعد عودتهم من القاهرة، ورفض علياء أن تسافر للأقصر

بعد أن علمت من عبد الخالق انشغاله وأنها ستسافر مع عادل مرة أخرى.

كانت علياء ذكية لم ترفض السفر،ولكنها أجلتهلوقتيكونفيهوالدهاقادراًعليالسفرمعها؛ معللة ذلك برغبتها في أن يصطحبها والدها وأن تخرج معه. فرحت خديجة بذكاء علياء، وساعدتها على الالتحاق بالكلية ولكنها طلبت منها أن تكون كلية داخل نطاق قنا، حيث لن يسمح عبد الخالق بسفرها خارج المحافظة. واختارت علياء كلية الحقوق، والتحقت بها، وطلبت من مأمون مساعدتها في الدراسة، وبالفعل كان مأمون يساعدها، ومر عليها الفصل الدراسي الأول ونجحت فيه بتقدير جيد جدا.

ولكن خديجة لم تمل من محاولة معرفة تفاصيل ما حدث في تلك الليلة، وما سبب الجروح التي حدثت لعادل، وتحت ضغط خديجة المستمر حكت لها علياء ما حدث

خديجة (وقد أخذتها المفاجأة): متأكدة أنه أراد اغتصابك عنوة، وأنك لم تشجعيه؟

علياء (غير مصدقة اتهام عمتها لها): لم أشجع أحدا، وأنت تعلمين مدى كرهي للزواج، لكم تحدثنا في ذلك، فكيف أشجعه

وأضع رأس والدي في التراب

خديجة (بحزم): هل أنت عذراء؟

علياء: نعم

خديجة: متأكدة؟!

علياء (وبدأت تبكي من التهمة الجديدة): أقسم بالله العظيم ثلاثا لم يقربني ولم يلمس مني شعرة واحدة

خديجة (بشدة وحزم): إذن لن يعلم أحدا بذلك، فلو علم أحد ستكون سمعتك في خطر، كما سيولد الثأر في العائلة بين أولاد عمك وأبيك وأخيك

علياء (وهي تبكي لشعورها أنها لا شيء وغير مهمة): أعرف، لذلك لم أتكلم خاصة وأنا لم أمكنه مني

خديجة وقد اعتلى وجهها الجمود: اخلعي ملابسك ونامي على الفراش وافتحي قدميك

علياء بذهول: ماذا

خديجة وهي تقذف بها على الفراش: هيا أريد أن أتأكد بنفسي من عذريتك

لمرة أخرى تخوض علياء تجربة مريرة، تأكدت خديجة من عذرية علياء واطمأنت ولكن جروح علياء زادت، كيف وهي

المجني عليها أن تفعل معها عمتها ذلك، لقد توقعت أن تحتضنها خديجة وتربت على ظهرها، لتعوضها عما حدث لها، فيكون من خديجة ما جرى. ما هذا المجتمع الذي يعامل الضحية على أنها الجاني، ويترك الجاني ينعم بأفعاله ويكررها دون رادع.

تقدم عادل لبعض العائلات الكبيرة بقنا ولكن كان الرفض حليفه دائما، خاصة بعد أن اتهمته إحدى الفتيات اللائي كن معه في الجامعة باغتصابها، وأنها حملت منه، لم تكن هذه الفتاة من الصعيد أو ذات شوكة يخاف منها، لذا مع إنكار عادل لم يعبأ بها أحد وأصبحت هي الجاني وهي المسؤولة عما حدث لها. خاف عبد الخالق بعد ظهور هذه الفتاة التي كانت زميلة لعادل بالجامعة على العائلة والثأر مما اضطر عبد الخالق لتهديد عادل إذا لم يرجع عن أفعاله هذه، ولكن خديجة طلبت من عبد الخالق الهدوء، وأن يتركها تتصرف.

دخلت خديجة غرفة عادل بعد أن تأكدت من وجوده وخلو المنزل ممن فيه

خديجة: ساءت سمعتك وساءت أخلاقك، ألا تستحي؟

عادل: مما يا عمتي؟ لم أفعل شيئا، أنت تعلمين أنهاتريد الزواج مني بأية طريقة

خديجة: لا تكذب، أنا أعرف ماذا تفعل، كما أعرف ماذا فعلت مع علياء. أما كنت تستحي أو تخاف من ثأر يودي بحياتك وحياة أخوتك وسمعة ابنة عمك؟

عادل: ماذا قالت لك؟ لم أفعل شيئا، هي من أغوتني

خديجة وقد وضح علي وجهها أنها تكظم غيظها: اصمت، لا تتكلم، واسمع جيدا ما أقول ونفذه وإلا سأخبر أنا عبد الخالق بما فعلت في ابنته، أتفهم؟

عادل وقد خاف تهديد عمته فهي لا تخاف وتفعل ما تقول: سأنفذ ما تريدين ولكن أرجوك لا تقولي شيئا لعمي

خديجة: الآن أصبح عمك، وعندما كدت تهتك عرضه ألم يكن عمك. ستذهب إلى عمك وتطلب منه يد علياء للزواج

عادل بمكر: ولكنها في الجامعة وقد تكون سلمت نفسها لآخر، وقبل ذلك دخلت مدرسة خارج القرية ولا نعلم ماذا كانت تفعل

خديجة وقد فاض بها الكيل: ماذا تريد؟

عادل: أن تترك الجامعة وأن تكون ليلة البناء في حضورك وحضور والدتي لتشهدا على عفتها

خديجة وقد شعرت برغبة في القيء لما تذكرته في ليلة بناء

احسان ولكنها لم يظهر شيء عليها: لك ما تريد، متى ستكلمه عادل وقد شعر بانتصاره: اليوم

خديجة: إذن، لو مرت الليلة دون أن تطلب يد علياء سيعرف في الغد ماذا فعلت

بالفعل طلب عادل في نفس اليوم الزواج من علياء، لم يوافق عبد الخالق مباشرة، ولكن طلب منه أن يحسن من سيرته في القرية، وذلك حرصا على سمعته وسمعة أسرته، فطلب منه عادل أن تترك علياء الدراسة، ولا تخرج من الدوّار حتى موعد الزواج.

لم يكن تعليم علياء هو ما يهتم به عبد الخالق، ولكن كان اهتمامه بزواجها وأن تكون في عصمة رجل يحميها ويراعي مصالحها، لذا وافق على الفور على طلب عادل بعدم خروج علياء من الدّوار والذهاب للجامعة، خاصة وأن محمد أخذ علياء قدوة له وأصبح هو الآخر من المتوفقين في الدراسة، فسيحقق له الشهرة التي حققتها له علياء من قبل، كما أنه ذكر وسيرث العمودية منه، كما ورثها هو من والده.

وافق عبد الخالق على زواج عادل وعلياء، وبالطبع كان طلب عادل الخاص بليلة بنائه من الطلبات المشروعة التي يطلبها أي زوج يدخل بفتاة بكر، إنه شرفه الذي يتباهى به أمام الجميع.

ولم يرفض عبد الخالق طلب عادل. فعبد الخالق كان يتمنى منذ فترة طويلة أن تتزوج علياء من عادل، وها قد تحقق حلمه والآن أصبحت أمنيته حقيقة، على الرغم من علمه بما يفعله عادل في القاهرة أو الاسكندرية عندما يسافر، كان يعتبر ذلك نزوة شباب – يجب عليه ألا يعلم عادل علمه بها –ويرى أن عادل سينتهي عنها عندما يتزوج، وكان يرتاح أن ذلك خارج قنا كلها مما يبعد عنه وعن أسرته شبح الثأر للشرف، فكان ما يؤرقه في تصرفات عادل هو الخوف من الثأر والسمعة السيئة، ليس لأن ذلك مخالف للدين، فمن تلك الزاوية كان يرى أن عادل رجل ومن حقه أن يفعل ما يشاء ولكن خارج قنا والصعيد بأكمله.

كان العائق هو رفض علياء لفكرة الزواج وترك الدراسة، ولكن كانت خديجة قوية الشخصية، تنفذ ما تقول، ما تطلبه أمر على الجميع تنفيذه. على الرغم من ألمها لما سيحدث لعلياء في ليلة زواجها ومن التجربة السيئة التي ستخوضها، ولكنها ستخوض تلك التجربة عاجلا أو آجلا، على الأقل هي اختارت لها ولد عمها من دمها وسيحافظ عليها، وستعيش على نفس المستوى من الرفاهية الذي وفره لها والدها، ولن تترك الدوّار وبيت والدها.

وبدأ تجهيز غرفة جديدة لعلياء ولكن في نفس الطابق الذي

تعيش به، ستكون لها غرفة أكبر لها ولزوجها، الذي سمح له أن تطأ قدمه الطابق العلوي، طابق الحريم.

كانت هناك مشاجرة كبيرة بين عادل ومأمون بسبب طلب عادل البناء بعلياء في حضور الأهل، كان مأمون يشعر أن ذلك مهانة للمرأة، وكان يرى أن عادل غير جدير بعلياء ولكن عادل تقدم وعمه وافق على ذلك وكذا عمته وافقت، أما موافقة علياء لم تكن ذات قيمة؛ فالعادات والتقاليد تقضي موافقة والد العروس وليس العروس، فحتى لو رفضت العروس فلا أهمية لرأيها، العادات والتقاليد أقوى من الدين.

اتصل عبد الخالق بخيري ليأتي ويحضر عرس أخيه وابنة عمه–وكان قد مضى على زواجه ما يقارب العامين–لميستطع خيري أن يقول لعمه أنه بذلك يعاقب ابنته، خاصة عندما علم من فردوس وهو يكلمها أن عادل طلب ألا تكمل علياء دراستها وأن تكون ليلة البناء وفق العادات والتقاليد. اضطر خيري أن يحضر معه عبير زوجته قبل الزفاف بأسبوع حتى يتمكن من مساعدة عادل في التحضير للزواج، وكذلك لتساعد عبير في تحضير العروس.

بدأ التحضير للعرس ومازالت علياء رافضة للزواج وترك الدراسة، ورافضة الزواج من عادل تحديدا. حاولت خديجة

اقناعها أن عادل زوج تتمناه أية فتاة، ولتحمد الله أنه اختارها دون غيرها من الفتيات، وأن زواجها يعني أن الحظ قد ناداها. ولعلم علياء أن رأيها غير ذات قيمة، تركتهم يفعلون ما يريدون، وتركت خديجة تختار كل شيء الملابس والستائر والأثاث وألوان الحائط، لم تتدخل علياء في أي شيء أمام الجميع، خاصة بعد طلب عادل عدم خروجها تماما من الدوار حتى وإن كان ذلك للحديقة الخلفية.

أما علياء من داخلها كانت تشعر بمشاعر مختلفة ومتباينة فهي تحب عادل وتعرف ذلك ولكن ما فعله معها لا تجد له مبرر وتشعر أنه يكافأ على فعله، ولا يعاقب. لم تكن تعرف شيئا عن ليلة الزفاف وخطط عادل بخصوص ذلك اليوم، كانت تشعر بالفرح والحزن في نفس الوقت.

الفصل السابع

انساقت علياء لرغبة أهلها في زواجها من عادل، ولكن كان ما يؤرقها هو كيف سيقربها عادل بعد محاولتهاغتصابها قبل ذلك، ماذا تفعل معه؟أتتركه يأخذها كيف شاء؟ لم تقل لها خديجة شيئا، ووجدت أن تسأل فردوس دون أن تخبرها بما فعله عادل معها قبل ذلك.

لأول مرة تشعر علياء بأنها تحتاج لأمها بجانبها الآن، كانت تفتقد أمها كثيرا في ذلك الوقت، كيف تسأل فردوس، ولكن وجدت أن تعرف من فردوس شيء واحد فقط: هل من الضروري الصراخ والبكاء كلما قربها زوجها؟ كانت تعتقد قبل أن تتحدث مع فردوس –وكما أفهمتها خديجة –أن السيدة العفيفة تفعل ذلك، بل وتكره قرب زوجها لها.

دخلت علياء غرفة فردوس وخديجة مشغولة في شراء مستلزمات العرس من المركز،

علياء: أمي أردت أن أتحدث معك قليلا

فردوس: تفضلي يا بنيتي

علياء: أنا خائفة

ضمتها فردوس لحضنها، وربتت على ظهرها وقالت لها: كلنا عندما كنا عذراوات وكنا نخاف من الزواج ولكنه شيء سهل يا ابنتي وخوفك كلنا مررنا به

علياء: ولكن أنا لا أريد أن أبكي وأصرخ كلما قربني زوجي

شعرت فردوس بغصة من كلام علياء ونظرت لها نظرة تعني أن أكملي

وشعرت علياء أنها جرحت فردوس دون أن تدري فقالت لها: عندما كنت أقوم فزعة على صوت صراخك كلما كان أبي معك أخبرتني أمي خديجة أن كل النساء العفيفات يفعلن ذلك عندما يريدهن أزواجهن، وأنا لا أريد ذلك، أنا خائفة

ضمتها فردوس لحضنها مرة أخرى وقالت لها: بنيتي الأمر ليس كذلك، عمتك لا تدري لأنها لم تتزوج، عندما تزوجت من عمك حامد رحمه الله لم تكن الدموع تعرف طريقي، لم أكن أبكي ولا أصرخ وكان الضحك هو ما يخرج من غرفتي ولا شيء آخر

نظرت لها عليا نظرة متحيرة وسائلة ولكنها لم تتكلم

فردوس: لا تتعجبي يا بنيتي، فحامد رحمه الله كان حبيب قلبي وكان رجل بمعنى الكلمة، كان يحبني وأحبه، لم يجبرني يوم أن أفعل ما لا أرضى على العكس من والدك، تزوجته مرغمة وفقا للعادات بعد وفاة زوجي وذلك بعد أن هددتني خديجة بترك البيت وأولادي وألا أراهم ثانية، ولم يكن أمامي لأظل جانب أبنائي سوى الامتثال والزواج من والدك سامحه الله. لم يعطني فرصة لأحبه، كانت رغبته أقوى منه، وبمرور الوقت أصبح تمنعي عليه يزيده رغبة وخروجه منتصرا في كل مرة يجعله يشعر بالمتعة، لست نموذجا وما يحدث معي لا يحدث مع كل النساء.

علياء: ولكن كيف يتزوجك وهو يعلم رفضك له، الدين يشترط موافقة العروس ويعتبر عقد الزواج باطلا إذا لم توافق

فردوس: الدين شيء والعادات المعمول بها شيئا آخر يا علياء، في الصعيد العادات والتقاليد أقوى من أي شيء آخر

علياء: ولكن من حقك فسخ عقد الزواج مع والدي، ما لم ترض بالزواج، لقد كبر أولادك وحصل كل منهم على نصيبه من ميراث أبيه

فردوس: تكلم معي مأمون في ذلك، ولكن عادل هددني إذا فعلت ذلك أن يقطع علاقته بي، سامحه الله وأعانك على إصلاحه يا ابنتي

كان كلام علياء مع فردوس بمثابة كابوس آخر علمته عن عادل، لا تعلم حتى الآن كيف تتعامل معه، كيف تتقبله كزوج لها، كيف وهو الجاني أن تكون مكافأته الزواج من الضحية، وكيف يكون رأيها غير ذي معنى، ولكنها سلمت لقضاء ربها وانتظرت الفرج من عند الله.

كان كلامها مع فردوس عن عادل وتحكمه وتعصبه للعادات والتقاليد ما يؤرق علياء، ولكن أكثر ما كان يؤرقها هو حبها لعادل وخوفها منه بعد ما فعله معها في القاهرة، ولكنها قررت أن تنتقم من عادل وتعلمه أن الدين هو الأقوى من العادات والتقاليد، وظلت تفكر فيما تفعله مع عادل.

الفصل الثامن

كانت علياء تفكر كيف تغير من عادل وتحاول تقويمه، فاليوم باق ثلاثة أيام على زواجها من عادل والدوّار يعج بمن فيه من زوار وعلياء تتجول فيه لترى الاستعدادات التي تتم؛ فقد قررت أن تكون هي صاحبة الكلمة في زواجها وليس أحد آخر حتى لو كانت خديجة نفسها، أما خديجة فقد فرحت بقرار علياء المفاجئ؛ فهي منذ فترة طويلة تريد جعلها صاحبة الكلمة في المكان وسيدة الدار، كم كانت خديجة ترى قوة علياء وأنها نسخة معدلة منها تستطيع أن تقود البيت دون مشاكل ودون أن يشعر أحد بكللها أو احتياجها لآخرين؛ لذا تركت لها حرية اختيار ما تريد.

أثناء تجول علياء في الدوّار سمعت مكالمة بين عادل وشخص آخر يتحدث فيه عن ضرورة تعديل السجلات لأن عبد الخالق يود أن يتطلع عليها ويفهم آخر المستجدات قبل زواج عادل، فهمت علياء الآن أن عادل ليس سيء الخلق فيما يخص النساء فقط ولكنه أيضا خائن لعمه وأخوته، ولكن كيف تتغلب عليه وتغيره؟!

قررت علياء أن تمنع نفسها عنه وهي قوية لتفعل ذلك، فقد فعلته سابقا. لن تحدث جلبة كما تفعل فردوس، ففردوس تحدث الجلبة وفي النهاية يحصل عبد الخالق على ما يريده، أما عادل فلن يحصل منها على شيء حتى يتغير، ويصبح خوفه من الله هو ما يسيطر عليه وليس خوفه من الثأر أو العادات والتقاليد،

ودعت ربها أن يمنحها القوة لفعل ذلك.

عندما وصل والدها الدوّار أرادت أن تحادثه وحدها، طلبت منه أن تسافر في شهر عسل كما فعل مع خيري فعبير زوجة خيري ليست بأفضل منها وطلبت منه أن تكون فترة العسل شهرا كاملا، استجاب عبد الخالق لطلبها، حيث فرح بقبول علياء الزواج وطلبها التمتع بهذه الفترة، وأصدر الأوامر لعادل بالسفر مع علياء وسأل علياء عن المكان الذي تفضل السفر له، فطلبت أن يكون نفس الفندق الذي قضوا به فترة تكريم علياء في الشهادة الثانوية.

لم يصدق عادل طلب علياء واستجابة عبد الخالق لها، حاول أن يقضي زواجه كله في البلد، وكان طلب علياء السفر والإقامة في نفس الفندق الذي حاول الاعتداء عليها فيه بمثابة ضغط عصبي لا يتحمله، ولكن عبد الخالق أصدر الأمر النهائي الذي لا مناقشة فيه.

لم تعرف علياء كيف تتصرف في أمر سرقة أموال والدها وأبناء عمها، لذا قررت أن تؤجل مواجهة عادل بهذه الأمور مؤقتا، كل ما عليها فعله الآن هو الاستعداد لأن تمضي ليلة زفافها على خير، ولتربي عادل بعد السفر، أمامها شهر كامل يربى عادل فيه.

جلست علياء مع عبير تسألها عن تعامل خيري معها وحبه لها، كم كانت تحب الرومانسية، وكم كانت ترى عادل فارس أحلامها –قبل أن يفعل ما فعله وتعرف عنه خيانة الأمانة –ولكنها

مازالت تحبه، سيتربى عادل ويتغير فعليا.

في محاولات علياء التفكير في شأن المحاسب ومكالمة عادل معه، طرأت عليها فكرة أن تذهب لوالدها في مكتب الحسابات، كان هذا المكتب يقع في وسط أراضي عبد الخالق يتعامل من خلاله مع التجار لبيع المحاصيل وشراء الأسمدة، ذهبت بعد أن تأكدت من عدم وجود عادل وعبد الخالق بحجة أنها تريد من والدها أموالا لشراء بعض المستلزمات والحصول على إذن منه ومن عادل أن تنزل المدينة لشرائها، وافتعلت مشاجرة مع المحاسب واتهمت المحاسب بالتطاول عليها، جاء عادل وعبد الخالق جريا بعد سماع أخبار ضرب علياء للمحاسب بعد تطاوله عليها، دخل عبد الخالق جريا ليطمئن على ابنته فوجدها تتوعد المحاسب بعد أن ضربته بالقلم

عبد الخالق مذعورا: ماذا حدث يا بنيتي؟

علياء: جئت لك ولعادل أطلب بعض المال والإذن كي أذهب للمدينة لشراء آخر مستلزمات الزفاف التي أريدها فلم أجدكم، وتطاول عليّ هذا الشخص بالكلام بحجة أنه لا يعرفني

عادل وقد استشاط غيظا: كيف تجرؤ على التطاول على زوجتي وابنة ولي نعمتك

وقبل أن يكمل عادل كلامه تدخل عبد الخالق: اذهب من وجهي واعلم أن عليك حق سأقتص منك لفعلتك هيا اغرب عن

وجهي

هنا انتبه عادل أن الحسابات لم تنتهي كما أراد فحاول تهدئة عبد الخالق: لينهي عمله اليوم ثم يذهب

علياء: أتتركه يا والدي بعد ما فعل معي؟

عبد الخالق: هيا اذهب من وجهي

عادل موجها حديثه لعلياء بعد أن ذهب كل من في المكان: ألم أقل لك ألا تغادري البيت

علياء: يا والدي أنا عروس ومن حقي شراء بعض الملابس التي تخص العرائس؛فما أحضرته عمتي لم يناسبني، هل أخطأت؟ زفافي غدا متى سأشتريه؟

عبد الخالق ومازال غاضبا: لا عليك يا علياء، هيا للمنزل الآن وفي البيت نتحدث

فرحت علياء بما فعلته وطرد المحاسب دون أن تقول شيئا عن عادل، وفي الطريق ظلت تفكر في محاسب جديد وكيف تقنع والدها أن يتولى مأمون إحضاره، وكان هذا الأمر أسهل من طرد المحاسب لانشغال عادل في التحضر للعرس. بعد وصولهم للمنزل دخل عادل حجرته وتبعت علياء والدها تعتذر له عما حدث وأنها كان لابد لها من الذهاب له ولم تكن تعلم أنه غير موجود، ولكن والدها كان يفكر في أمر آخر كيف يتصرف مع

المحاسب وكيف يأتي بآخر جديد، قرأت علياء ما يفكر به،

علياء: آسفة يا والدي ولكني تعودت منك ألا ترد لي طلب وأن لك كلمة على عادل ولم أعلم أن المحاسب سليط اللسان

عبد الخالق: سليط اللسان!

علياء: نعم يا والدي سليط اللسان، ولكنك تعلم أني ابنة العمدة لا يجب أن يتطاول أي أحد عليّ

عبد الخالق: لا عليك سأقوم بتأديبه، ولكن كيف آتي بمحاسب آخر وعادل مشغول بأمر الزواج؟

علياء: أنسيت مأمون؟ يستطيع أن يجد لك محاسبا آخر معروف بأمانته وحسن الخلق

عبد الخالق: واضح أنه لا حل آخر أمامي، أين مأمون؟

ونادى على مأمون وطلب منه إحضار محاسب جديد، يتولى إدارة شئون الأرض والأملاك بدلا من ذلك الصفيق، وأضافت علياء طلبا منها لمأمون أن يشرف بنفسه على شئون الأرض وكل ما يخصها وأن يقوم بجرد عهدة المحاسب القديم.

لم تتخيل أن يتم لها ما أرادت بهذه السهولة، بل أيضا سمح لها والدها أن تذهب لشراء ما تريد من المدينة، أما عادل فكان خائفا يرتعد مما يمكن أن يكتشفه عبد الخالق والمحاسب الجديد، وكان يفكر من يمكن أن يأتي به، ولكنه فوجئ بتولي

مأمون مسئولية احضار محاسب جديد وجرد العهدة القديمة مما زاد من خوف عادل وارتباكه، وفي المغرب كان عليه أن يذهب مع عبد الخالق لعائلة المحاسب القديم للاقتصاص لعلياء مما فعله معها، لم يعلم ماذا يفعل كان يمشي مع عمه مصدوما مما حدث ويدعو الله ألا يكتشف ما يفعله، هو يعمل مع عمه منذ تخرجه، منذ تخرجه وهو يسرق الجميع، ماذا سيحدث لو افتضح أمره؟ ماذا سيحدث؟ لام نفسه على منع علياء من الخروج فلولا ذلك ما كان حدث ما حدث، ولكن انه وقت لا يجدي فيه الندم.

بعد أن خرج عادل وعبد الخالق وانشغل الجميع في التحضير للعرس، بعد عودة علياء بعد شرائها بعض المستلزمات التي أحبت بالفعل أن تشتريها، طلبت أن تتحدث مع مأمون، فهي تعرف رجاحة عقله، قصت عليه حقيقة ما حدث وما سمعته من عادل وطلبت منه حكمة التصرف، وقالت له أنها افتعلت المشاجرة فقط لطرد المحاسب دون التسبب بمشاكل لأخيه، لم يعرف مأمون كيف فعل عادل كل ذلك، ولكنه أثنى على تصرف علياء وعقلها وقرر أن يكون مسئولا عن الناحية القانونية في العمل ليكون عينا على أخيه، وأن فترة الشهر هي فترة كافية للتحكم بعد ذلك في عادل وأفعاله فيما يخص الشئون المالية والإدارية.

الفصل التاسع

حانت اللحظة الفارقة في حياة علياء، اليوم هو زفافها على عادل، حلمها القديم الذي لوثه عادل بفعلته معها –التي لم تعرف لها سببا حتى الآن، ولا تدري لما فعلها –عليها أشياء كثيرة لابد من اتمامها، أنهت خديجة وفردوس تحضير العروس وتحضير الطعام للمدعوينوإلباسها فستان زفافها، كم بدت كفراشة رقيقة في فستانها، كم كانت رقيقة كما الزهرة، لم توجد فتاة أو سيدة في الزفاف إلا وحسدتها على رقتها وجمالها، لم تكتف علياء بجمال الشكل والروح ولكنها حازت معهم النسب والخلق والدين والمال.

فرحت عبير لفرحة علياء بالزواج، ولكنها كانت فرحة يشوبها بعض الحزن عندما علمت من خيري كيف سيتم البناء بها، كم استنكرت ذلك، واستغربته، وكم شعرت بمدى حبها لخيري عندما جنبها تلك التجربة القاسية، إنها تشعر أنه ملاك بالفعل، ولكن عدم حملها بعد فترة طويلة من الزواج كان يؤرقها، وفجأة وأثناء الفرح شعرت بدوار شديد أفرغت بعده ما في جوفها، حدثت بعض الجلبة، وعلى الفور فحصتها الطبيبة –التي أرسل عبد الخالق على الفور في طلبها –وبعد الفحص المبدئي وبعض الأسئلة شكت الطبيبة في حملها فطلبت أن يذهب أحدهم لها ليشتري لها تحليل حمل منزلي وأجرت التحليل لعبير التي

اكتشفت–توا –أنها تحمل جنينا من زوجها ليتوج هذا الزواج، رجحت الطبيبة أن عمر الحمل شهران ونصف الشهر بناء على بعض الحسابات المعروفة في ذلك الشأن، مرة أخرى تعالت الزغاريد والمباركات على عبد الخالق وخيري، لقد كان زواج علياء خيرا على عبير وبشرى خير للعائلة.

لقد تغيرت معاملة خديجة الجافة مع عبير منذ تلك اللحظة التي علمت فيها بحملها، لقد كانت تتعامل معها كما لو كانت أرض بور لا تطرح الثمار، كما فكرت في تزويج خيري من أخرى ولا بأس أن يحتفظ بعبير، ولكن الآن لا داعي لهذا الزواج الذي رفضه خيري، الآن عبير وجبت لها الراحة، والمعاملة الحسنة.

وحان الآن موعد اتمام الزواج والبناء بعلياء، الذي أعقبه صرخات متتالية، صحبها كره شديد من علياء لعادل، لقد ذكرها بكل ما أرادت أن تنساه، وأقسمت أنها لن تمكنه منها حتى يتغير، حتى يموتالحيوان المتخفي في هيئة إنسان، والذيلم يتركها بعد خروج خديجة وفردوس، أكمل ما أراده منها كانت صرخاتها متعة له، ورفضها وعدم قدرتها على المقاومة تثيره كثيرا، وعندما وجدت منه ذلك أرادت أن تكسره وتكسر هذه الفرحة. لقد علم الجميع الآن أنها بكرا ولن يجرؤ عادل على قول غير ذلك، وعندما انتهى قالت له أنه حيوان لا يدري كيف يسعد زوجته أو

يتعامل معها.

كانت مفاجأة عادل كبيرة عندما قالت له علياء ذلك، لقد توقع أن تتقوقع على نفسها وتبكي كما تفعل والدته ولكنها لم تفعل، لم تبك حبست دموعها وآلامها، فقط أخبرته أنه ليس رجلا! كانت كلماتها بمثابة جرح وزلزال هز كيانه، كيف تجرؤ على محادثته على هذا النحو، وكيف تقول له أنه لا يعرف كيف يمتع زوجته لم يشعر بنفسه حتى قال لها " أنت عاهرة" فما كان منها إلا أن نظرت له نظرة حملت في طياتها الاستهزاء والتحدي وردت عليه "لست عاهرة، أريد حقي من زوجي بالطريقة التي أريدها أنا، وفي الوقت الذي أحدده، لست جارية لك، ولست أنت سيدي، يجب أن تعلم من أنا، وتتعلم كيف تعامل النساء، لست واحدة من العاهرات والساقطات اللاتي تقضي وقتك في أحضانهن".

لم يدر عادل كيف يتصرف، لا يستطيع أن يتكلم، فماذا عساه يقول، لذا تركها واغتسل وخرج ليجلس في الحديقة مع الضيوف الذين تمنوا له زواجا سعيدا، منهم من أعطاه بعض المخدرات وآخرين بعض الحبوب المقوية، وأعزى الجميع ذهوله لأنه عريس جديد، ولكن عبد الخالق شعر أن هناك شيء ما على غير ما يرام، لكنه آثر الصمت في حفل زفاف ابنته التي

تأكد الجميع من عذريتها، لذا اعتقد أن المشكلة تكمن في عادل، وكان يفكر كيف يتصرف، ولكن الصمت الآن هو الأفضل للجميع وليجعل فردوس تطمئن على قيام عادل بواجباته الزوجية من علياء.

عندما خرج عادل من الغرفة، أطلقت علياء لنفسها العنان في البكاء الصامت–الذي اعتادت عليه منذ صغرها –لم تتخيل أن يكون أول يوم في حياتها مع عادل بهذا القدر من السوء، لم تتخيل مدى تمسكه بالعادات حتى التي أصبح يتخلى عنها البعض، بكت دون صوت، وانسالت دموعها شلالا على وجنتيها ثم قررت الكف عن البكاء فقامت واغتسلت وصلت ودعت ربها أن يقويها حتى تربي عادل وتغيره. مازالت تحبه رغم ما فعله، ولكنها تعلم أن تحديها لعادل هو ما يغيره، لذا قررت أن تخوض التجربة حتى النهاية إما أن يتغير عادل أو يطلقها.

وقامت لتحضر ما تحتاج إليه أثناء السفر لها ولزوجها، سيكون السفر في مساء يوم الصباحية –بعدأن يأتي الجميع للمباركة للعروسين وجلب الهدايا التي تتناسب وقدر عائلتهما– لميستطع عادل التملص من السفر، وباءت كافة محاولاته بالفشل، لقد أصر عبد الخالق على سفرهما لما وجد عادل ساهما، أما عادل كان يحاول التملص من السفر لخوفه من كشف

أمره وكذا لمواجهة علياء وتحديها له.

في المساء وبعد ذهاب الضيوف، طلب عبد الخالق من زوجته الاطمئنان على علياء في الصباح وعلى عادل وهل قام بواجبه، خاصة أن حجرة العروسين لم يصدر منها أية أصوات، وهذا ما كان يقلق عبد الخالق كثيرا.

جاء الصباح، كان عادل ينتظره لعدم قدرته على مواجهة تحدي علياء له، لقد حاول الحصول عليها مرة أخرى ولكنه لم يستطع، نظرات التحدي التي تملأ عينها وتركها له وقضاء الليل في الصلاة، وتعاملها معه على أنه غير موجود، جعله كالمجنون لا يفهم ما يحدث ولا كيف يتصرف، وأيضا انشغاله بما فعله والخوف من كشفه، كان يتوسل للصباح أن يأتي.

أما عبد الخالق ظل يعاني من الأرقولا يقوى على النوم، يريد الاطمئنان على ابنته، ماذا لو كان عادل يحتاج لعلاج ما أو يعاني من خطب ما وكان يغطي على ذلك بسمعته السيئة مع النساء، كيف يتصرف وكيف يثبت ذلك، لقد تذكر انكاره لما قالته زميلته في الجامعة عن حملها منه واغتصابه لها، كان هو الآخر يتوسل النهار أن يأتي.

كانت فردوس مذهولة من تصرفات عبد الخالق وقلقه، هي

تعلم أنه كبر ولم يعد يقدر على المعاشرة، وهي أيضا كبرت، كانت تتوقع أنه يفكر في الزواج من أخرى وأن زواج عادل شجعه على ذلك، فحاولت أن تسأله عن سبب انشغاله وتفكيره، وذهلت عندما صارحها عبد الخالق بما يفكر به، وخافت هي الأخرى على ولدها فظلت مستيقظة تتوسل النهار أن يظهر.

نام الجميع بعد أن أجهدهم التفكير، واستيقظوا على صوت خديجة توقظ العرسان لتناول الفطور توقظ عبد الخالق وفردوس –لأول مرة يستغرقا وقتا طويلا في النوم –لم تكن خديجة تعرف ما يفكر به كل منهم، فهي كانت في حالة نفسية سيئة؛ اختفت بعد البناء بعلياء مباشرة ولم يلحظ أحدهم ذلك، لم تستطع النوم تلك الليلة لذا انتظرت آذان الفجر وصلت، ثم قامت لتباشر شئون المنزل وتحضر فطور العروسين والطعام الذي سيتناولانه أثناء السفر، كم تشعر أنها أم العروس بالفعل والجميع يبارك لها زواج علياء، تشعر أن ابنتها قد تزوجت ولن تفارقها، ستعلمها الآن كيف تكون سيدة الدار، أصبحت لعلياء كافة المقومات، الزواج والذكاء والفطنة وكذا هي ابنة العمدة وأخت العمدة، فمحمد على الرغم من صغر سنه ولكنه العمدة، لن تكون له زوجة حتى تتمكن علياء من السيطرة على الدوّار واحتياجاته وإدارته، بالتالي ستصبح هي سيدة الدار دون منازع.

كم مرت الأيام سريعة وأصبحت وليدة الأمس عروس اليوم، لقد صادف يوم زواج علياء اليوم السابق ليوم مولدها لم يذهب أحد اليوم للمقابر ولن تقام سنوية احسان التي مر على وفاتها حتى الآن اثنى وعشرون عاما، وذلك حتى لا تفسد فرحة العرس، وكذا الفرحة بحمل زوجة خيري، كم تعجبها كلمة "عمة" التي تقولها عبير –بعد أن كانت تقول لها "طنط" طلبت منها خديجة أن تناديها "عمة" فلا توجد في قاموسها كلمة "طنط" وانساقت عبير لرغبتها، وكم تحب كلمة "أمي" التي تقولها علياء –رغم أنها تقولها أيضا لفردوس –ولكن خديجة كانت تفتقد شعور الأمومة وعوضتها علياء ذلك الشعور، فكانت نعم الابنة، وها هي الابنة تصبح زوجة.

ايقظت خديجة كل من في الدوّار، عملت بكد واجتهاد حتى حضرت كل شيء، واستيقظ الجميع لتناول طعام الإفطار، ولكن لم يحضر مأمون طعام الإفطار لأول مرة منذ ولد؛ عندما سأل عليه عبد الخالق أثناء الإفطار علم من خديجة أنه استيقظ مبكرا، وذهب للمدينة لإحضار محاسب لتولي أعمالهم بدلا من ذلك المحاسب سليط اللسان، تغير لون وجه عادل، ولكن لم يلحظ ذلك سوى علياء، فغيرت مجرى الحديث، وسألت والدها عن وسيلة السفر وتأكيد حجز الفندق، فطمأنها على كل شيء،

وطلب عبد الخالق من خيري البقاء بعض الوقت حتى يطمئن على زوجته وحملها، ولكن خيري أصر على السفر لتتابع زوجته الحمل في طبيبتها في الاسكندرية وتكون مع والدتها لتعينها على أعمال المنزل، واستغرب عبد الخالق أن عبير تتابع مع طبيبة وطلب أن يتحدث مع خيري بعد تناول الإفطار.

عبد الخالق: لماذا تذهب زوجتك قبل الحمل للطبيبة؟

خيري: عندما تأخر الحمل، وأصيبت عبير بنزيف مستمر ذهبنا للكشف عليها، وهناك اكتشفنا وجود ورم حميد في الرحم واضطررنا لاستئصال الورم وكانت تتابع علاجها، وعلمنا أن الورم هو سبب منع الحمل والنزيف

عبد الخالق (بقلق وحنان الأب): ولماذا لم تخبرنا يا ولدي، لنقف بجانبك؟ هل تحتاج لأي شيء؟

لم يجد خيري ردا أبلغ على ما شعر به من حنان عبد الخالق واهتمام به سوى أن يحتضنه، كأنه يحتضن والده، كم كان يشعر أنه يحتاج لذلك الحضن والإحساس أن هناك من يهتم لأمره، عجبا لعمه، الذي تجتمع فيه كل النقائض، الحب والحنان مع القسوة، تدينه مع عدم مخالفة العادات والتقاليد التي تخالف الدين، عجبا له! أخبره خيري أن كل شيء على ما يرام وأن تجارته هي الأخرى على ما يرام، وطلب منه أن يأتي لزيارته

وقضاء بعض الوقت معه في الإسكندرية، كم يفتقدهم جميعا.

سعد عبد الخالق بكلمات خيري، لقد كان يشعر دائما أن خيري يمقته ولا يرغب في وجوده معهم دون أن يدري سبب ذلك، لقد كان يحسن معاملتهم جميعا كأنهم أبنائه وليسوا أبناء أخيه، لم يبخس أي منهم نصيبه في ميراث أبيه –عدا فردوس طبعا، فلا ميراث لأنثى –ولكنه بدأ يشعر بتغير خيري منذ زواجه؛لقد تغير وأصبح شخصا آخر، وها هو الآن تغير ثانية للأفضل عندما علم أنه سيصبح أبا. لقد كبر أبناؤه جميعا وأصبحوا رجالا، كم يمتنى أن يصبح محمد مثلهم.

الفصل العاشر

عندما استيقظت علياء لم ترغب أن يرى أحدا ضيقها وحزنها مما حدث يوم أمس، وجدت عمتها توقظها، ودخلت عندها هي وفردوس للمباركة، كم كانت فردوس قلقة منذ تحدث معها عبد الخالق عن قلقه على عادل وتنتظر أن تسأل علياء وعادل عن أخبار الليلة، وكانت خديجة متشوقة لتعطي ابنتها التي لم تلدها النصائح التي تساعدها أن تكوّن أسرة مستقرة. فتح عادل باب الغرفة لوالدته وعمته، لازال صوت علياء يتردد في سمعهوتحديها له. لن يتكلم وسيحاول أن يتحكم في أعصابه، مازالت أمامه مشاكل عديدة منها المحاسب والسرقة وكيف يحافظ على سمعته. ألقى عليهم التحية وخرج من غرفته ليفسح المجال أمام النساء للحديث.

احتفظت علياء بآلامها لنفسها، كما تعودت أن تفعل دائما، كانت خجلة من الأسئلة التي وجهتها لها فردوس، وخففت من قلق فردوس بخجلها؛ فكانت حمرة الخجل دليل فردوس للاطمئنان على ولدها، تركت العروس لتستعد للنزول وطلبت خديجة من فردوس الانفراد بعلياء.

خديجة: يا ابنتي، لا تعرفي مقدار فرحتي بك اليوم، انت عروس العائلة وسيدة هذه الدار من بعدي، يجب أن تعرفي ذلك من الآن وتتصرفي على هذا المنوال

علياء وهي تبكي: لماذا يا عمتي؟

خديجة وهي تحتضن علياء: ماذا يا ابنتي؟

علياء: لماذا تركتيه ينتهكني هكذا؟

خديجة: إنها حال كل النساء، كل من تتزوج يحدث لها ذلك

تسمرت علياء من رد خديجة الذي لم تتوقعه، العادات والتقاليد تبا لها! كل شيء يستباح هنا باسم العادات والتقاليد. فضلت علياء الصمت وتغيير مجرى الحديث، لا شيء سيتغير من كلامها، يجب أن تتعلم الصبر وتتعلم كيف تفعل ما تريد، سيأتي يوما تكون هي سيدة الدار والمتحكمة في شئون المنزل والمتحكمة في عادل والعمدة، لن تترك العادات والتقاليد تتحكم فيها بعد ذلك، ولكن عليها بالصبر ولتفكر كيف تتعامل مع الوضع الحالي.

بعد تناولهم الإفطار جميعا، وعندما اطمئن عبد الخالق من فردوس على سلامة عادل البدنية، خطر بباله شيئا لم يكن يتوقعه، ماذا لو كان عادل يخاف من فضح المحاسب أمر ما، إنه يذكر عصبيته ومحاولاته المستميتة أن يظل المحاسب في العمل وألا يسافر، وشعر عبد الخالق بالقلق من صحة ما جال بباله، لن يتحمل أن يكون عادل خائنا للأمانة، ولكنه في الوقت نفسه يخشى إذا كان ذلك صحيحا على العائلة وشملها، لذا اتصل بالمكتب ليرى إن كان مأمون قد وصل أم لا وعلم أنه وصل المكتب في الأرض بالفعل ويجلس مع المحاسب الجديد.

في الطريق إلى الفندق حيث يقضي عادل وعلياء شهر العسل، لم يتحدث أي منهما، وفي خلال الطريق كان عادل منشغلا، كانت هي الأخرى بالها مشغول كيف تمنع عادل عنها، وكيف تتصرف، خطر ببالها ما فعله مع خديجة في اليوم المشئوم، وكان الحل بسيطا حبوبا منومة تضعها له في أي مشروب دون أن يدري، لتستطيع النوم دون أن تخاف من محاولاته المستمرة لكسرها.

وصلا إلى الفندق وصعدا لجناحهما، ثم قالت لعادل أنها تريد أن يجلب لها الفندق بعض الأشياء وإن كان يريد شيئا، واتصلت بالفندق وطلبت منه أن يشتري لها حبوبا منومة قوية لأنها لا تستطيع النوم وأن يرسل معها بعض الطعام والمشروبات، وبالفعل حصلت على طلبها دون أن يعي عادل ما حدث.

دخلت لتغيير ملابسها في حمام الغرفة، بعد أن خرج عادل لتوه منه، واختارت ملابسها الخاصة بالحجاب التي كانت ترتديها وهي في الدوّار، وأثناء وجودها بالحمام سمعت عادل يتحدث مع شخص ما؛ فأرهفت السمع لتسمع كل ما يقال وصعقت عندما وجدت عادل يهدد المحاسب إذا اتهمه بأي سرقه، ثم يعود فيلطف من كلامه مرة أخرى. لم تجد فرصة أفضل من ذلك لتمنع عادل عنها، ويخاف منها ومن فضحها لسره، فهو حتى الآن لا يعرف أنها تعرف سرقته لعمه واخوته،

ويجب أن تستفيد من ذلك، فهي كانت تعرف أن عليها البحث عن الحجج التي تبعد عادل بها وقد قدمها عادل لها على طبق من ذهب.

تفاجئ بها عادل تخرج من الحمام بعد ارتداء ملابسها بحجابها، وقبل أن يسألها لما ترتدي الحجاب وهما وحدهما في الغرفة وجدها تقول له أنها سمعت كلامه مع المحاسب السابق وعرفت أنه خان والدها، ثار عادل وحاول ترضيتها حتى لا تتكلم فاستغلت الفرصة وطلبت منه عدم القرب منها إلا برغبتها هي ومتى شاءت دون غصب، ولم يكن أمام عادل بد من الموافقة على ما تقول وإلا فضح أمره وكشف سره.

اتفقت معه ألا يفرض عليها أمرا، وعليها ألا تخجله أمام الناس، ولكنه شعر بجرح غائر عندما قالت له أنها حتى الآن لم توافق على زواجها منه، وبالتالي زواجها منه باطل حتى توافق، ولكنها في الوقت نفسه ستحافظ على سمعته ومظهره أمام الناس وتصون كرامته وعليه أن يفعل ذلك معها، وإلا سيعرف الجميع أنه سارق وسرق من؟ الرجل الذي أحسن إليه ورباه وسرق أمه واخوته.

دخل عادل للبلكونة يحاول أن يستنشق أي هواء، لقد أحس أن الغرفة لا هواء بها، شعر بالاختناق الشديد، يحاول أن يستنشق الهواء بلا فائدة، في ذلك الوقت اتصل الاستقبال بعادل يقول له

أن هناك مكالمة هاتفيه له فوافق على استقبالها تركته علياء يتحدث ودخلت للشرفة تشم هواء القاهرة وترى المدينة وهي تعلم أن أمامها أياما طوالا لتشاهد كافة معالمها ولكنها سمعت عادل وقد ارتفع صوته دون أن يشعر بأقذر السباب وأدركت من كلامه أن من تحدثه سيدة وأنها تريد أن تنسب ابنها له، ما هذا الكلام الغريب، لابد أن تحتفظ بهدوئها الآن.

أنهى عادل المكالمة بعد أن سمعت علياء الحديث وفهمت ما به، ألا يخجل عادل من أفعاله! ألا يكبر! ألا يصير رجلا! وجدته شاردا في الشرفة دخلت وطلبت هاتف مكتب المحاسب في أرض والدها لتعرف ماذا جرى، رد عليها مأمون أنه اكتشف اختلاس مبالغ نقدية كبيرة، ومازال هو وعمه يدققون في الدفاتر والحسابات ودون سابق انذار سمعت عادل يصرخ ويقع في الشرفة فصرخت باسمه وتركت الهاتف وذهبت لترى ماذا حدث، وجدت عادل ملقى على الأرض لا يتحرك ولا ينطق فجرت على الهاتف وقالت ما حدث لمأمون وأغلقت الخط معه وطلبت منه الاتصال بوالدها، طلب مأمون منها طلب سيارة اسعاف لأحد المستشفيات الخاصة الكبرى فورا وإخباره باسمها وتطور الأحداث حتى يصل إليها.

لم يتوقع أي منهم –عادل وعلياء وعبد الخالق ومأمون –أن يحدث مكروه لعادل، فاليوم هو ثاني يوم على زواجه، لقد سافر

من قنا مساء اليوم الأول على الزفاف ووصل للقاهرة في مساء اليوم التالي.

دخل عادل المستشفى، كان التشخيص المبدئي ذبحة صدرية، وأوصى الأطباء بضرورة دخوله الرعاية المركزة وطلبت علياء أن تظل بجواره ولا تتركه، سمح لها الأطباء بالمكوث في غرفة خاصة بالمرضى تكون لها ولكن لا تدخل لعادل فترة طويلة، وسمح لها الطبيب بالبقاء معه دون اجهاده، اتصلت بمأمون مرة أخرى في المكتب وكان والدها هناك وأخبرتهم اسم المستشفى.

كان عادل لا يزال فاقدا للوعي ولا يشعر بأحد كما قال لها الأطباء، فجلست بجانبه وقبلت يده واحتضنتها في يديها، وكانت تتكلم معه وهي تعلم أنه لا يسمعها أو يشعر بها؛ لذا استرسلت معه في الكلام الذي طالما حلمت أن تقوله له وتعاتبه به:

"حبيبي وحبيب قلبي، سلمك الله من كل كرب، نعم أحبك، أحبك منذ نعومة أظفاري، أغار عليك من نساء الدنيا، كم كنت أريد حبك وحنانك، أحببتك لما وجدتك تحب والدي وتجله – كما أفعل –أحببتك حين جعلته قدوة لك، ثارت غيرتي وجن جنوني من أفعالك مع النساء، وكثيرا ما سألت نفسي لما تفعل ذلك مع النساء الرخيصات وفي يدك أن تتزوج. ثم ثارت كرامتي لما فعلته معي في الفندق وقت تكريمي لنجاحي في الثانوية

العامة، لقد كرهتك وقتها كما لم أكره أحدا من العالمين، بعدها كرهتك أكثر عندما صرت أنا المتهمة أمام عمتي، وكرهتك أكثر عندما هتكت عرضي وكرامتي في العلن، هكذا أمام الناس.

أتدري كيف كنت أحلم بيوم زواجنا، كم حلمت بكلمة أحبك أسمعها منك، كم حلمت بضمة يدك ليدي في حب واشتياق، كم اشتقت أن تلمس يدك شعري وتمر عليه، أن تلمس وجنتي وتهمس في أذني أحبك.

ولكني وجدت يوم زواجي منك يوم مهانتي، يا للصدف أتدري أنه كان اليوم السابق لذكرى ميلادي ووفاة أمي، وكأن ذلك إعلانا من القدر أن حياتي معك ستكمل مأساتي، لا أفرح بيوم ميلادي كما تفرح صديقاتي، أنه أشقى أيامي، يوم فقدت والدتي.

أتعلم كم كنت أحتاج إليها يوم حاولت اغتصابي لألقي بنفسي في حضنها الدافئ وأبكي، كم كنت أحتاج إليها يوم ختاني، يوم كبلتني عمتي لهلاكي، أتعرف كم كنت أحتاج لحضن أمي أرتمي به بعد أن تحطمت أحلامي الوردية في يوم زفافي بمن أحبه على صخرة الواقع والعادات والتقاليد، كم كنت أحتاج إليها عندما رفضت خروجي من البيت لمدة عامين وتركت دراستي لأجلك حتى أنك رفضت خروجي لشراء مستلزمات زفافي، أكنت تعاقبني بذلك على زواجي منك، صدقني يا عادل لم

أفهمك، ولا أعرف كيف تبدلت أحوالك وتغيرت، كم كنت ودودا طيبا كيف تغيرت لا أعرف، ولكن أتدري مازالت أحبك وأكره نفسي لحبي لك، وأتألم من نعتك لي بالعاهرة، لا يا عادل أنا لست عاهرة ولكني أحبك وأذوب في هواك، أذوب عشقا وأتوق أن أكون بجانبك، ولا أعرف حتى الآن هل ستدرك حبي لك أم لا، لم أقوى على قول ذلك الكلام وأنت تسمعه؛ لذا آثرت أن يخرج لك وأنت لا تدري عنه شيئا، يا حبيبي شفاك الله وعفاك".صمتت علياء وأكمل دمعها الذي انهمر على وجنتيها حديثها له، قطع عليها ذلك البكاء نداء الممرضة لها؛فخرجت علياء من غرفة العناية المحجوز بها عادل عندما طلبت منها احدى الممرضات الدخول للطبيب المعالج، بالفعل ذهبت له علياء:

علياء: أنا علياء زوجة عادل الموجود بالعناية، قالت لي الممرضة أنك تريدني

الطبيب: سيدتي كم مر على زواجك؟

علياء: يومان

الطبيب باستغراب شديد: ماذا؟

علياء: نعم يومان فقط، لقد أتينا من قنا للقاهرة لقضاء شهر العسل، حتى وجدته يصرخ

الطبيب: لقد تعرض لانفعال شديد أدى لإصابته بذبحة

صدرية حادة ويحتاج للراحة، ماذا حدث؟

علياء: لا أعلم لقد كان يتحدث على الهاتف وسمعت أن هناك سرقة حدثت ثم صرخ ووقع أرضا

الطبيب: إذن السبب في حادثة السرقة، التعليمات الآن، لا انفعال ولا اجهاد، ولا أية علاقة زوجية حتى تستقر الحالة

علياء: هل سيخرج؟

الطبيب: لن يخرج قبل ثلاثة أيام من الرعاية ولا أستطيع الجزم بأي شيء حتى استقرار حالته وعودته لوعيه

علياء: سيأتي أبي –وهو عمه –لزيارته والاطمئنان عليه ومحاولة نقله لأي مستشفى في قنا، فهل يمكن ذلك؟

الطبيب: لا يمكن الآن على الأقل، لابد أن تستقر حالته، وقبل أن تنصرفي أريدك أن تمري على الحسابات لتسوية بعض الأمور المالية

علياء: حاضر

اتصلت علياء بوالدها بعد حديثها مع الطبيب، وطلبت أن تتحدث مع مأمون لتخبره بما قالته للطبيب، فعلمت من مأمون علم عبد الخالق بالسرقة وما حدث، لقد سمع المكالمة التي كانت بين علياء ومأمون، وانتظرت حتى يصلا للقاهرة لتجد من يقف بجانبها، ولترجو والدها أن يسامح عادل ولا يخبره بعلمه بسرقاته حتى يسترد عافيته مرة أخرى.

الفصل الحادي عشر

بعد أن ازداد الألم على عادل وانعدمت قدرته على التنفس، لم يشعر بشيء حتى وجد نفسه غير قادر على تحريك جسمه وغير قادر على التحكم في أي شيء أو فتح عينيه، سمع كلام شخص مع علياء من الكلمات فهم أنه في المستشفى، سمع من حديث علياء معه وهو في الغيبوبة كلمات غير واضحة له، لم يكن قادرا على الكلام أو الرد، أو حتى التفكير فيما قالت.

بعد أن بدأ وعي عادل يعود له بعد أيام من وصوله المستشفى، كان ما يشغل تفكيره هو كيف سيواجه الجميع – بخاصة عبد الخالق –عندما يعلموا باختلاسه أموالهم وسرقتها، وكلما فكر في ذلك ازداد حنقه وغضبه من علياء، وبدأت الأجهزة في الصراخ من جديد.

لم يعلم الأطباء سبب التدهور الذي حدث بعد استقرار الحالة، ولكن عادل يعلم أنه استشاط غضبا من علياء وخوفا من عمه مما جعله غير قادر مرة أخرى على تحمل تبعات تصرفاته، ومر أسبوع على عادل وهو في هذه الحال، حتى قرر أن يواجه مصيره ويحاول جمع شتات نفسه ويؤجل الغضب والخوف حتى ينهي هذه المسألة.

خلال هذه الفترة وصل محمد مع والده ليقفا جوار علياء، حمدت الله أن محمدا معه، كم تحب محمد وتستمع بكلامها

معه، رغم أنه يصغرها بعشرة أعوام إلا أنها تشعر أنه أكبر من عمره بكثير، يفهمها ويحبها ويقدرها وجعلها مثله الذي يحتذى به. تذكر كيف ثار على الجميع لرفضه العادات والتقاليد التي تفضح ما ستره الله عن الناس، وكيف ثار على عادل عندما اشترط عدم اكمالها لتعليمها ولكنها تعرف أن الكلمة الأخيرة في يد والدها؛ ولكن محمد هو سندها الذي تحتمي به من الأيام وتدعو الله أن يظل هكذا ولا يتغير.

عندما وصل والدها وأخوها طلبا منها الذهاب للفندق للراحة بعد أن سمعا منها ما حدث، وطلبت من أبيها الصبر على عادل وعدم محاسبته حتى يسترد صحته مرة أخرى، ووافق والدها على ذلك، إذ لم يكن من الممكن محاسبة عادل وهو يرقد على فراش المرض، ففي النهاية عبد الخالق هو من رباه وإذا أخطأ عادل فلابد أن أساس المشكلة من عبد الخالق.

عندما تدهورت حالة عادل مرة أخرى بعد استقرارها خاف عليه عبد الخالق كثيرا، فكان يشعر أن سبب ما يمر به عادل هو خوفه من الفضيحة ومن رد الفعل، وكان عبد الخالق في حيرة من أمره ماذا يفعل، وتشاور مع علياء ومحمد في الأمر واستقر بهم التفكير على أن يغرم عادل ما اختلسه وسرقه منهم مقابل أن يبعد تماما عن أي إدارة لأملاكهم ويقوم مأمون ومحمد بإدارة الأملاك

تحت اشراف عبد الخالق. لقد أراد عبد الخالق ألا يدع أي مجال لوسوسة النفس الأمارة بالسوء أن تدخل بين أفراد الأسرة وفي ذات الوقت كان يرفض فكرة سجن عادل ومقاضاته ويخاف عليه إن هو طرده.

رحب مأمون أيضا بهذه الفكرة، حيث كان يخاف من عقاب عبد الخالق وبطشه أن يطالا أخيه. كان الجميع في انتظار استرداد عادل لصحته، وجميعهم ينتابهم القلق عليه وعلى حالته الصحية ويدعون الله أن يمر هذا الأمر بسلام.

استقرت حالة عادل الصحية وخرج من المستشفى وذهب إلى بيته في قنا مع زوجته وعمه محمد أخيه وابن عمه في ذات الوقت، لم يتحدث أي منهم في موضوع السرقة والاختلاس وكشفهم ما كان يقوم به عادل. نفذت علياء أوامر الطبيب حرفيا، وكانت تراعي نوعية الأكل المسموح بها ومواعيد الأدوية والراحة التي أمر بها الطبيب، وعندما وجد عبد الخالق من عادل استقرار حالته الصحية طلب أن يتحدث معه في وجود مأمون. طرح عبد الخالق ما توصلوا له في شأن ما قام به عادل، ووافق عادل على ما اتفقوا عليه، لقد كان بالفعل يخاف مما يمكن أن يحدث له ووفر ما أشاروا به عليه عناء ما كان يتوقع حدوثه من سجن وطرد من المنزل والمحافظة بأسرها.

فكر عادل فيما يمكن أن يقوم به، واهتدى إلى أن ينشئ مصنع لتغليف الخضروات واللحوم والأعلاف التي تنتجها مزارعهم، يكون المصنع ملك له ويكون في المدينة أو القاهرة وهم الموردين له، على أن يكون هو المسئول الأول والأخير عن المصنع ويكون من نصيبه من أملاكه، طلب عبد الخالق وقتا للتفكير في ذلك الأمر؛ فما يقترحه عادل يتطلب أن يكون المصنع في المدينة وليس القرية وكان يحتاج للتفكير وحساب عائد ذلك الأمر وكذا أن يحاول وأد أية فكرة أو محاولة قد تجول بخاطر عادل لمعاودة سرقة أموال أخوته.

أراد عادل بفكرته هذه أن يبعد كل البعد عن التعامل في أملاك غيره، وهو يثق في أخوته محمد ومأمون وكذا عمه يثق في نزاهتهم في إدارة باقي ممتلكاته، كم شعر باحتقار نفسه عندما طغت عليه شهوته في السرقة وخيانة الأمانة. كما أراد بذلك أن يبتعد عن أي نظرة لوم أو عتاب من الجميع، وفي الوقت نفسه يبعد علياء عن مكمن قوتها وهو أبوها وعمتها ليعاقبها عما فعلته.

كان عادل شارد الذهن عندما دخلت عليه علياء الغرفة لتعطيه الدواء، نهرها عندما شعر بغتة بوجودها، لم تنبت ببنت شفة أعطته الدواء ولمعت عيناها واحمر أنفها ولكنها لم تبك، خرجت دون أن تقول كلمة، وشرد عادل مرة أخرى ولكن شرد

في علياء وطريقة معاملته لها.

يعلم عادل أنه يحب علياء واسترجع ذكرياته معها يتذكر يوم ولادتها وكيف ظلمت في هذا اليوم، لقد قالت له أمه "أنها مسكينة فقدت أمها وفقدت معها الأمان وستظل عمرها كاملا تحمل نفسها ذنب وفاة أمها وقت ولادتها وذنب كونها فتاة" في ذلك الوقت ورغم صغر سنه قال لوالدته أنه هو أمانها وحمايتها، وظل يراعي علياء ويراقبها من بعيد إذا حاول أحد إيذائها أو مضايقتها وجد عادل له بالمرصاد، ثم جاء ختانها ومنع من اللعب والجلوس معها. كانت كلما كبرت كبر حبها في قلبه، ولكنه كبر هو الآخر ووجد أن خروجها من المنزل للتعليم يعرضها لمخاطر جمة ويعرضها لشباب السوء ويكثر عنها الكلام، ورغم حجابها كان يعارض دخولها الثانوية العامة.

تذكر عادل أول مرة له مع عالم النساء، لقد كانت مع أصدقاؤه في المرحلة الثانوية، كان هو وأصدقاؤه يذهبون للمدينة ويبتعدون قدر إمكانهم عن القرية ويقفون أمام المدرسة الثانوية والإعدادية للبنات. كانت البنات تستجيب لهم إذا كن بعيدات عن أهلهن، فلا يخفن إذا ما شاهدهن أحد، لا ينسى يوم سأل احداهن عما إذا كانت لا تخشى علم أهلها بما تفعله، فكان جوابها هي تعيش في قرية بعيدة عن المدينة ومادامت عذراء فلا

يهم أي شيء آخر. كما تذكر عادل أول يوم عرفه أصدقاؤه على بيوت المتعة، كانت كلها منزل لسيدات ابتعدن عن ذويهم فلا رابط لهن ولا ضابط، هناك تعلم كيف يأخذ ما يريد دون أن يترك حملا أو يفض بكارة. تذكر ما فعله في الجامعة مع الفتيات وكيف سلمن له بكلمة حلوة ونظرة من عينيه، لم تقاومه أيهن، ولكنه تذكر أنه كان يختار من يعرف أنها لن تقاوم، لم يفكر أبدا في فتاة يعرف أنها من طريقة تعاملها في الجامعة أنها سترفضه. كان يعرف الفتيات من نظراتهن له، من وجد في نظرتها رغبة أن يتكلم معها أو يقيم علاقة لم يتردد أبدا في ذلك، وهن كن يقعن في شراك حبه المزعوم حتى يسأم منهن ويبحث عن أخريات.

لقد كانت تجربة قاسية عليه، تعلم منها أن النساء طبعهن الغدر والخيانة، ولا يعرف لماذا تذكر علياء، هل هي مثلهن؟ طرد عن عقله الفكرة تماما، هي من تربت على يديه ولا تترك القرية ولا تتحرك دون خفر أبيها، سيتزوجها عندما تنهي التعليم الإعدادي مادامت عمته وعمه يصران على تعليمها حتى المرحلة الإعدادية، ولكن كيف يتكلم في ذلك الموضوع، أيتكلم مع عمه أم عمته. كانت تلك أفكاره عندما أنهت علياء السنة الأخيرة في المرحلة الإعدادية، وتفاجأ بما فعلته خديجة لتدخل علياء الثانوية العامة، ثم ما فعله هو ليتأكد من أخلاقها.

وتذكر ما فعله معها، لقد كان يعتقد أنها مثل الأخريات اللائي قابلهن في الجامعة في مصر، أو من قابلهن بعد إنهاء دراسته الجامعية وجد المتزوجات وغيرهن من تسلم له نفسها نكاية في زوجها أو في العادات والتقاليد، من أدراه أن علياء لم أو لن تفعل ذلك، لن يتحمل أن تفعل ذلك، وكان لابد له من اختبارها الاختبار الأقصى، لقد هيأ لها كل ظروف التي تلقي فيها باللائمة عليه، خدر عمتها ودلس عليها حتى دخلت غرفته وهما في محافظة أخرى بعيدون كل البعد عن أهلها، لقد كان يحبها ولكن يخاف أن تكون مثل البقية، لقد خطط كل شيء منذ البداية، يعرف أن سمعته تسبقه في موضوع النساء وسوء خلقه من هذه الناحية، ولكن لابد أن يخوض التجربة، يعلم أنه سيتزوجها سواء قضى على شرفها أو لم يقض في الأولى ليستر عرضها وعرض عمه من فضيحة كبرى والثانية لأنه يتأكد من أخلاقها.

لا ينكر بينه وبين نفسه أنه في ذلك اليوم رغم أنه كان يعرف أنه اختبار لها ويتمنى أن تعترض وترفض حتى إن ماتت، ولكنه كان يتمنى أن يشتم رائحتها ويلمس جسدها ويشعر به، لقد أقدم على ما فعله بكل ما أوتي من قوة من حبه لها وخوفه من النساء.

بعدما ضربته وأنقذت نفسها من براثنه كان يريد أن يتزوجها ولكن كيف يفعل ذلك وهي تريد أن تدخل الجامعة، أي ستجد

هناك ألف عادل، وهو يحبها ويرغب في الزواج منها، يرغب أن يكون قربها. كان يمنع نفسه كثيرا من لمسها ومحاولة تقبيلها كم كان يود ذلك، حذره مأمون من عاقبة نظراته لعلياء وما تشمله من رغبة إذا ما لاحظه أحد.

مسكين هو مأمون. لا يعرف كم يخاف عادل على علياء ويحبها كما يرغبها تماما، ولكنها الغيرة التي جعلته يعارض دخولها الجامعة، ويبحث عن غيرها زوجة له، لقد ساعدته كثيرا خديجة بطلبها منه أن يتقدم لعلياء ويتزوجها، لا يعلم أحد منهم كم يحبها ولكنها عنيدة وكانت تحارب من أجل التعليم والجامعة وها هو قبل أن يتقدم لها يشترط عدم خروجها من المنزل، أراد أن يتأكد أنها لا تحب وتواعد، لقد أحكم عليها الرقابة دون أن تشعر هذه الفترة، لقد ظلت عامين منذ تقدم لها عادل، عامين لا تخرج فيهما من الدوّار، إلا مرات تعد على أصابع اليد الواحدة، مرة عندما ذهبوا لزيارة خيري في الإسكندرية، وأخرى في رحلة الأقصر التي وعد بها عبد الخالق علياء. أغلق عليها الحصار فقط ليتأكد من سلوكها وعدم مواعدتها أحد.

كان قراره أن يكون الزواج وفق العادات والتقاليد بمثابة درس لها، أن تخضع وتخشع لهذه العادات ولا تحاول أن تتخطاها.

ثم تذكر عادل ما حدث يوم زفافه وما قالته، وتحديها له. حتى الآن لا يعرف عادل كيف أتتها الجرأة والقدرة على أن تقول ما قالت! كيف تفعل سيدة محترمة ما فعلته وكيف تقول ما قالته! من منهما الرجل ومن منهما القائد في الحياة، بالطبع هو من يقود هذه العلاقة، أليس هو الرجل؟ والرجال قوامون على النساء، أي فقه قرأته لتنازعه قيادة زواجهما. ثم تذكر تهديدها له بكشف أمره لوالدها إذا هو لمسها مرة أخرى، ولكن ها هو والدها علم ما فعله وتم تسوية المشكلة، ماذا ستفعل بعد ذلك إذا هو أخذ حقه منها.

لقد كان دائما يحبها ولا يحتمل أن يجرحها أحد ولكن العادات والتقاليد أهم من الحب، العادات والتقاليد لابد أن تتبع، العادات والتقاليد هي من تحكم الناس في هذا البلد، لذا كان يفكر في ابعادها حتى يتثنى له إعادة تربيتها من جديد وفق ما يروق له، وليعاقبها على ما قالته وما فعلته.

الفصل الثاني عشر

كانت خديجة منذ تقدم عادل للزواج من علياء تفكر في بدء علياء مهامها باعتبارها الكبيرة في هذا الدوّار، والمسئولة عنه مكان خديجة –وهيعلى قيد الحياة –كي لا ينازع علياء أحد مكانها ومكانتها، ولكن فكرة عادل في الابتعاد تدمر ما تفكر فيه خديجة وتعد له منذ ولدت علياء، وهي أيضا تخاف على علياء من عادل.

تعرف نظرات الحقد والانتقام؛ لقد رأتها سابقا في عيون علياء، وهي الآن في عيون كل منهما، لاتخاف من علياء لأنها تعرف أنها عاقلة ورشيدة ولكنها تخاف من عادل وتهوره، مازال يحتاج أن يتعلم كيف يكون كبيرا، تمنت لو أن علياء تزوجت مأمون، أو لو كان عادل في أخلاق مأمون وعقله. ولكن عادل هو عادل، لا يمكن أن تتركه بمفرده مع علياء، لا يمكن أن يكون أي شخص آخر في مكانة علياء –كبيرة الدوّار –لا أحد غيرها جدير بتلك الصفة.

كان عبد الخالق قلقا من إصرار عادل على الابتعاد، لا يريد أن يتسبب البعد في أي ضغينة بين العائلة، يريد أن تكون العائلة أسرة كبيرة متلاحمة، لا يمكن أن تفترق؛ لذا اتخذ قراره برفض فكرة عادل بالابتعاد عن القرية والخروج للمدينة، وكان قراره نهائيا لا رجعة فيه.

يعلم عبد الخالق جيدا مدى حب عادل له، واحترامه لقراراته، ووجد عبد الخالق ضرورةأن يتعامل مع عادل كما كان سابقا، لا يتغير أي شيء سوى عدم انفراد عادل بالحسابات والإدارة، يعلم أنه لم يحسن تربية عادل ولم يعلمه أن السرقة محرمة، وأن إدارة الأملاك أمانة. فلا يمكنه أن يلقي باللائمة كلها على عادل، لم يراجع أحد أبدا وراء عادل، وأيا كان الشخص موثوق به، فالمثل يقول "المال السائب يعلم السرقة"؛ لذا عادل ليس وحده مذنبا كلهم مذنبون ويتحملون نصيبا من خطأ عادل.

استقر الأمر على أن يقام المصنع داخل القرية في قطعة أرض تقع ضمن أملاك عادل، ويتم البناء من أموال عادل، وساعده عمه بجزء من أمواله في بناء المصنع، ليقول له بذلك نحن عائلة واحدة وأنت ابني ومهما أخطأت فالأب لا يغضب من أبنائه أو يطردهم. فهم عادل رسالة عمه واطمأن لها، كما أن محمد ومأمون لم تتغير معاملتهما معه، باستثناء غضب محمد من عادل بسبب سوء معاملته لعلياء.

حاول عبد الخالق التحدث مع عادل لكي يحسن معاملة علياء، الكل يلاحظ ذبولها ولكنها لا تتكلم

عبد الخالق: يا بني الكل يلاحظ ذبول علياء، رغم أنها لا تتحدث، أنا أب أشعر أن ابنتي ليست على ما يرام، تكلم يا بني

علّني أستطيع أن أحل سببالمشكلة

عادل: لا تقلق يا عمي، ولكن علياء حتى الآن لم تتعلم أن العادات والتقاليد هي أهم ما نحافظ عليه، لم تفهم أنها أصبحت زوجة، لا تعرف حتى الآن كيف تعامل زوجها، حتى الآن لا تجلس أمامي إلا بالحجاب.

تفاجأ عبد الخالق من جملة عادل الأخيرة، ما معنى أنها لا تجلس أمامه إلا بالحجاب، معنى ذلك أنه لا يقربها، فكر عبد الخالق أن ابنته تفعل ذلك لتعاقب عادل على فعله بعمه واخوته، فقال لعادل "سأتكلم معها يا بني، ما تقوله الآن لا يرضي أحدا"، إلا أن عادل رفض ذلك وقال له أنه سيتعامل مع ذلك؛ فعلياء زوجته ويجب أن يعلمها هو ما يريدها أن تتعلمه، وطلب من عبد الخالق ألا يتدخل أحد في ذلك. وبالفعل لم يتدخل أحد في ذلك الموضوع أو يفتحه مع عادل. خاصة بعد انشغال الجميع في بناء المصنع والشركة الخاصة به، ثم مع مرض خديجة ثم وفاتها.

بدأت علياء في التعامل في الدوّار بصفتها الكبيرة، كانت خديجة تقف بجانبها لتعلمها كل صغيرة وكبيرة عن احتياجات كل فرد في الدوّار وكل شيء فيه، كانت خديجة قد شارفت على بداية عامها الخامس والستين، وبدأ تشتد عليها أعراض المرض، بدأت الآلام التي لا تنتهي والصراخ الذي لم تعد قادرة على

كتمانه من الألم، انشغل الجميع مع خديجة وذهبت للمستشفى واكتشفوا أنها تعاني من سرطان بالدم في مراحله الأخيرة ولا جدوى من العلاج، توفت خديجة بعد عام من المعاناة مع الألم، تعلمت فيها علياء أن المرض والموت قد يهزمنا جميعا ويأخذ منا من نحب في لحظة.

لقد كانت تحب خديجة وتعلم أنها من كانت تدافع عنها، حتى مسئولية البيت كانت تعد علياء لها وحاربت كثيرا حتى لا تكون غيرها في تلك المكانة، رحمها الله.كانت كأنها تنتظر أن تتسلم عليا مهامها في البيت وتكون الكبيرة حتى تودع خديجة أحبابها وتودع هذه الدنيا وتذهب روحها لمن خلقها.

كان موت خديجة بعد مرور خمس سنوات على زواج عادل وعلياء، لم يتمكن عادل طوال تلك الفترة من لمس علياء؛ فهي لم تتراجع عن قرارها السابق، لن يلمسها عادل حتى يتغير، حتى يتعلم أن الدين والحب والمشاعر أهم من العادات والتقاليد.أما عادل فلم يحاول أن يلمسها عقابا لها، وإمعانا منه في عقابها، أصبح يأتي من سفره للقاهرة وهو معبأ بروائح الباغيات وآثار معاشرته لهن، أراد أن يعاقبها، واستمر العقاب، واستمرت في عنادها، حتى وصلت أنها تظهر له أن ما يفعله لا يؤثر عليها ولا تكترث له. فقد عادل منها الأمل، وقرر أن يتركها وشأنها ويفكر

في الزواج بأخرى، ولكنه لم يقوى على الزواج بغيرها، مازال يحبها ولا يعرف كيف يئد حبها في قلبه، لم يستطع أن يطلقها.

لم تعد علياء بعد زواجها تفارق محمد، وأصبح هو الآخر متعلقا بها، يتعلم منها كل شيء وتساعدها فردوس في تأكيد ما تقوله، محمد متفوق جدا في دراسته، ولكنه قرر أن يدرس في كلية التجارة، دون ما يطلقون عليه كليات القمة ولتكون الكلية في قنا، لقد كان هو الآخر من أوائل الثانوية العامة.

تمر السنون سريعة ولا يشعر بها أحد، اليوم السنوية السابعة لخديجة، وتخرج محمد من كلية التجارة، ساعد والده في العمل في الأرض، أصبح هو العمدة بعد أن أصبح عبد الخالق نائبا في مجلس الشعب. تعلم من علياء الحب لكل من حوله، ولكنه كان يشعر بالضيق من عادل أخيه من طريقة معاملته الجافة لعلياء، وكلماته المسمومة لها أنها لم تنجب حتى الآن، يتألم من كلماته ولا يعرف لماذا لا يتزوج عادل ويترك علياء في حالها، لن يعترض أحد على زواجه ولا حتى علياء، الجميع يعرف ما يقوم به في مصر عندما يسافر لفرع المصنع الخاص به هناك، ولا أحد يتكلم.

لم يترك خيري الإسكندرية بعد زواج عادل إلا مرات قليلة، وأصبح يدعو أهله لزيارته خاصة في فترة الصيف، ولدت عبير زوجته في حملها الأول توأم بنتان، فرح بهمها خيري كثيرا إلا أن

خديجة وعبد الخالق كانوا في انتظار الولد، وبعد مرور الأربعين على ولادة عبير كانت خديجة تلاحقها بطلب الحمل مرة أخرى لتلد الولد، ولم تحمل عبير بعد ولادتها الأولى إلا بعد عامين ولدت فيهما توأما آخر ولكنه هذه المرة ولدان. كانت ولادة عبير الأخيرة فرحا للجميع ولدان مرة واحدة. أصبح خيري أب لأربعة أولاد، بنتان وولدان. فرح خيري كثيرا بأولاده الإناث وقرر أن يتعامل معهن كما كان يريد أن تعامل الإناث في بلده، كتب لهن من أمواله وأوصى علياء وأمه وزوجه أن تحصل كل أنثى منهما على نصيبها من ميراثه إن هو مات، وأنه كتب لهن بعضا من أملاكه لأنه لا يدري ماذا يمكن أن يحدث لهن وأودع لهن مبلغا من المال في البنك بأسماء بناته وزوجته.

وصلت البنات لسن دخول المدرسة وقرر خيري أن يتعلم الجميع في المدارس، كما قرر أنه يجب أن يسأل في مسألة الختان، لن يفعل شيء يضر ببناته لمجرد أنها عادات وتقاليد، بناته أغلى عليه من أي عادات أو تقاليد. وعلم الأولاد أن البنات كما الأولاد لهن مثل الذي عليهن، ويزيد عليه أن رعاية البنات تقع على الولد.

كم فرحت عبير بخيري ما فعله مع بناته، لقد كانت تخشى منه في البداية على البنات، خاصة عندما شعرت بخيبة أمل

الجميع عقب ولادتها الأولى، ولكنه كان حقا مختلف، لم يكن يتبع أي عادات أو تقاليد، كان دائما يقول لها أنه لا يفعل إلا ما يرضي الله، رضا الله أهم عنده من سخط الناس فليسخطوا، يبتعدوا، يفعلوا ما يحلوا لهم، ولكنه لن يفعل ما يسخط الله أبدا.

اختارا سويا أسماء أبنائهم فكانت علياء، وعلوية وعلي وعبد الخالق، لم ينسى خيري أبدا ما فعله معه عمه، لقد فهم سبب تصرفاته مع والدته، وأدرك أن سلبية والدته هي من مكنت عبد الخالق مما يفعله. كم هو فخور بعلياء ومحاولاتها الخروج عن العادات والتقاليد، ما تعلمه لمحمد.

يعرف خيري ما فهمته علياء، كان الدرس الذي وعته علياء وتعلمته جيدا، لن تستطيع تغيير الموجود حاليا، ولكن ركز على الجيل الجديد، علم الصغار هم المستقبل وحاملي الراية، وهو ما كان يفعله، كان يساعد علياء في غرس ما أرادت أن يتعلمه محمد أن إرضاء الله أهم من المخلوق، أوامر الله ونواهيه أهم من العادات والتقاليد ومن سخط الناس.أصبح محمد العمدة وما يأمر به يقبله الجميع وينفذه دون نقاش، حكمه هو الفاصل وهو الأمر الملزم للجميع. كان خيري يعلم أنها سياسة النفس الطويل، ولكنها تؤتي أكلها حتما في صالح ما كان يفكر فيه ويغضب منه، لن تكون هناك فردوس أخرى ستكون جميع الفتيات علياء. كم يأمل أن يحدث ذلك.

الفصل الثالث عشر

كانت علياء تجلس في حجرة خديجة، اعتادت أن تفعل ذلك منذ وفاة خديجة، تجلس في حجرتها وتعود بذاكرتها لأيام مضت وولت. تذكرت علياء كيف ظن بها الناس الجنون عندما رفضت أن تصرخ أي سيدة أو تنوح على خديجة، طلبت منهم الاستماع للقرآن والصمت التام. لن تسمح لأي منهن أن تصرح أو تولول على خديجة، لن يحزن عليها أحد كما حزنت هي. أرادت علياء أن تبدأ بما تقدر عليه بمنع ما يغضب الله وما نهى عنه.

طلبت من والدها أن تظل غرفة خديجة كما هي ولا تتغير، أن يكون لها وحدها حق الدخول هناك، كان عبد الخالق يعرف مقدار تعلق علياء بأخته رحمها الله؛ فلم يرفض طلبها وبالفعل أصبحت غرفة خديجة هي ملاذ علياء كلما ضاقت بها الحياة، تدخل هناك تتذكر كيف كانت ترتمي في حضن خديجة عندما تخاف أو يراودها كابوس ما.

بحثت في أدراج الدولاب عن مذكراتها، لقد كان المكان الآمن لها كي تخبئ مذكراتها، لن يجرؤ عادل أبدا على تفتيش غرفة خديجة سواء كانت حية أو ميتة، حتى خديجة نفسها لم تعرف أن علياء خبأت مذكراتها في دولابها، كانت تدخل غرفة خديجة في حياتها حتى في حالة عدم وجودها تنتظر خديجة تنام في فراشها، ولا يجرؤ أحد على منعها من ذلك، لذا كانت تخبئ مذكراتها منذ تزوجت عادل في دولاب خديجة.

تعلم شك عادل الدائم فيها وفي كل النساء، ولا تعرف سبب هذا الشك المطلق، كل النساء ساقطات عاهرات، كلهن دنيئات. لا تعرف لما يفكر بتلك الطريقة، كانت تحبه، ولكنها مع الوقت ومبالغته في إهانتها معايرته لها أمام الجميع بعدم الإنجاب، هو يعلم جيدا كما تعلم هي أنهما لن ينجبا؛ لسبب بسيط أنهما حتى الآن لا يعيشان مثل أي زوجين، مازالت تجلس أمامه بالحجاب وأصبحت تنام في غرفة خديجة، كان يوم زواجها هو آخر يوم استطاع عادل فيه الحصول على ما يريده منها، ومن بعدها بسبب مرضه ومن بعده عناده معها ثم انشغاله بالمصنع ثم الشركة التي أقامها لتصدير منتجات المصنع وتسويقها لم يجد الوقت الكاف أو الرغبة في الحصول عليها، كأنه يقول لها لا وجود لك في حياتي، لا أرغب فيك ولا أحبك.

لم تعرف علياء أبدا سبب معاملة عادل الجافة لها، حاول محمد التحدث معه بلا طائل وحتى والدها حاول معهوكان يقول لهم إنها زوجتي فلا يتدخل أحد. كانت كثيرا ما تسأل نفسها لماذا تزوجها ولماذا حاول قبل زواجه منها الاعتداء عليها، ولماذا فضحها على رؤوس الأشهاد يوم زواجها "بحجة العادات والتقاليد". لقد سئمت هذه الحياة، ولكن زاد على ذلك ما كانت تجده على ملابس عادل من آثار الروائح النسائية وألوان أدوات التبرج النسائيةكلما عاد من مصر.

حاولت أن تواجهه بذلك، أنكر ثم بعد ذلك، طعنها طعنة قضت على ما تبقيلها من كبرياء وحب له، قال لها " أنهن نساءً عرفن كيف يرضين الرجل، أنهن نساءً على العكس منك، مجرد عاهرة لا تعرف ماذا تريد أو ماذا تفعل، أنت مجرد ساقطة ساقها القدر في طريقي أخذت منها ما أردت ثم مللت"نزلت كلماته عليها كالصاعقة، صدمة كبيرة، ولأول مرة تبكي علياء أمام عادل، لقد كانت كلماته بمثابة خنجر طعنها به في قلبها وكبريائها، يا له من وغد، إذا كان يراها ساقطة وعاهرة كما الباقين لما يبقي عليها، لماذا لا يطلق صراحها ويطلقها. لم تتمالك نفسها مما قاله، بكت ثم غابت عن الوعي لم تشعر بأي شيء، وعندما عاد لها وعيها وجدت عادل قد تركها في نفس مكانها لم يفكر حتى في حملها ووضعها على الفراش. شعرت أنها كرهته منذ ذلك اليوم. حاولت أن تطلب الطلاق وكما توقعت منعها الجميع عن ذلك. لذا قررت بعد وفاة خديجة أن تعيش في غرفة خديجة.

كان محمد يشفق عليها وعلى حالها، لا يستطيع أن يفعل شيء، حاول مع والده أن يجبر عادل على طلاقها ولم يفلح، حاول أن يتكلم مع عادل ولكنه لم يفلح أيضا.ثم أراد لها الخروج مما هي فيه، أن تشغل وقتها بما ينفع الناس ويخرجها من دوامة عادل وحزنها، خاصة بعد وفاة خديجة؛ فاقترح عليها محمد أن تشترك في التدريس في فصول محو الأمية التي بدأتها

الدولة، وأن تساعد في الحملة الأخرى الخاصة باستخراج شهادات ميلاد وبطاقات تحقيق الشخصية للنساء، فهي تستطيع بأسلوبها في الحديث إقناعهن باستخراج تحقيق الشخصية وشهادات الميلاد وكذا الالتحاق بفصول محو الأمية.

أعجبت علياء بفكرة محمد، خاصة عندما رحب بها عبد الخالق، فكرة رائعة تساعد محمد في إثبات نفسه في العمودية، كما أنها تساعد في شعبية عبد الخالق حيث أصبح عضو في مجلس الشعب نائبا عن دائرته، لذا يجب أن يثبت كفاءته أمام الحزب لكي يظل في منصبه في المجلس.

كانت علياء تجد أن فرصتها في تحقيق غايتها من القضاء على العادات والتقاليد المخالفة للشرع، والتي تسلب النساء حقوقهن في ذلك، أن يتعلمن، ويكون لهن ما يثبت وجودهن أمام الدولة، لكي تستطيع أي واحدة منهن المطالبة بحقوقها. بقي أمامها أن تقنعهن بأن الدين أهم من العادات والتقاليد، أن الدين أهم أن يتبع من هذه العادات التي أهدرت حق المرأة وكرامتها.

وجدت علياء أن الحل أن تبدأ مع الفتيات الصغيرات، أن تزرع في الجيل الصغير لكي ينشأ على أفكار جديدة غير التي وجدتها هي، ساعدها مأمون ومحمد على ذلك، وكانت بعد انتهائها من دروس محو الأمية تستعين بشيوخ من القاهرة أحضرهم محمد ومأمون لكي يدرسوا الدين للفتيات والفتيان

الصغار، وأن يكون محور الدروس حقوق المرأة في الإسلام.

لقد وعت علياء الدرس، لا طائل من إقناع الكبار، لو كانوا فكروا لكانوا اقتنعوا وتخلوا عن العادات والتقاليد، هدفها هو الجيل الصغير، الأطفال والمراهقون والشباب، ركزت على هذه الفئات، تعلم أن الحصاد لن يكون سريع ولكن عليها أن تصبر.

كانت تكتب مذكراتها يوميا، وعندما تحاول استرجاع ذكرياتها وما تمر به، تجد أن أسعد أوقاتها هو الوقت الذي تقضيه في فصول التوعية والتعليم. وجدت مذكراتها وفتحتها وعادت بالذاكرة لكل ذكرى أضحكتها وأدخلت عليها السرور، ولكنها خرجت من شرودها على صوت هاتفها المحمول، وجدت رقم عادل يتصل بها.

سافر عادل منذ الأمس للقاهرة وقال إنه سيمكث ثلاثة أيام يعود بعدها، لم يتعود أن يتصل بها، فتحت الخط سمعت صوت عادل يستغيث ولم تفهم شيئا مما قاله ثم انقطع الخط، حاولت الاتصال به كثيرا لم يرد، اتصلت علياء بمحمد على الفور وحكت له ما حدث. شعر محمد بالقلق الذي ساور علياء، وتعجب أنها ما تزال تحب عادل على الرغم من جبال الثلج بينهما، اتصل محمد بفراش الشركة ليذهب ويطمئن على عادل وانتظر منه الرد، بعد حوالي نصف ساعة اتصل به الفراش يستنجد به، لقد فتح الشقة بالمفتاح الذي يتركه عادل معه ليجد

عادل غارقا في دمائه في مدخل المنزل، وهاتفه المحمول ملقى جانبه. طلب محمد من أمين الفراش أن يتصل بالشرطة والاسعاف فورا وأنهم في الطريق له وأن يتأكد من أن هاتفه المحمول يعمل طوال الوقت.

لم تصدق علياء حرفا مما سمعته، من هذا وماذا يقول؟ أين عادل؟ هل هي مكيدة من عادل ليعرف إن كانت مازالت تحبه أم لا؟ ثم من له مصلحة في قتل عادل؟ وطلبت أن تذهب مع محمد وأبيها وطلب مأمون أن ينضم لهم لابد له هو الآخر أن يطمئن على أخيه، لم يوافق أحد على سفر فردوس خوفا مما قد يجدوه، كما أن فردوس كبرت في السن ولم تعد تستطيع الحركة السريعة ستبطئ خطاهم، حجزوا على الطائرة المتجهة للقاهرة. شعرت علياء أنها لابد أن تسافر علياء لتطمئن على عادل، إنه زوجها وحبيبها، لم تعرف سبب هذه المشاعر المتناقضة التي تشعر بها، كانت على يقين من كرهها لعادل ومن سيرته وصحبته، ما الذي يجعلها تخاف عليه، وترتبك، وتتمنى أن يكون بخير، أين كان ذلك الحب؟ لا تعرف.

الفصل الرابع عشر

سافر الجميع للقاهرة، عندما وصلوا كان عادل في المستشفى، لم يتوف ولكنه أصيب بطلق ناري في الصدر، كاد أن يدخل قلبه مباشرة ولكنه استقر قرب الرئة، ذهبت علياء له مع والدها وأخيها وابن عمها وطلبت أن تظل معه ترعاه. نقلته سيارة الإسعاف التي طلبها أمين الفراش لمستشفى حكومي، لم يعرف أمين كيف يتصرف أين يذهب به ولأي مستشفى.

طلب عبد الخالق نقل عادل من المستشفى الحكومي لمستشفى خاص كبيرة، وبالفعل نقلته عربة الإسعاف، واهتمت الشرطة بالبحث عن الجاني، استخدم عبد الخالق نفوذه، فمنذ أصبح عضوا بمجلس الشعب وعضوا في الحزب الوطني، يفتح أمامه كافة الأبواب المؤصدة وتصبح رغباته أوامر لغيره.

ظلت علياء في غرفة عادل ولم تتركه، ورغم قول الأطباء أنه أجرى العملية وأمامه وقت طويل ليفيق من آثار البنج، وأنه لن يكون قادراً على الكلام، وأن وجودها لا فائدة منه، لم تهتم بما قالوا وأصرت على المكوث بجانبه.

ذهب محمد ومأمون مع عبد الخالق لقسم الشرطة لكي يعرفوا ما حدث تحديدا، وظلت علياء مع عادل، رغم تعبها ورغبتها في النوم بسبب السفر الطويل والخوف والقلق عما أصابه، لم تستطع أن تغلق جفنها وعندما حاولت سمعت صوت

عـادل يتحـدث، لـم تتبـين مـا يقولـه، ولكنهـا حاولـت جاهـدة الاقتراب منه وسماع ما يقول، وجدت كلمات قصيرة "علياء، أحبك، أنت من أجبرني على أن أفعل ما أفعله، لا تتركيني، علياء" أدركت علياء من هيئة عادل أنه مازال في مرحلة البنج وأنه مازال لا يدري ما يقوله، ولكنها كانت مخطئة في ذلك.

فعندما بدأ عادل يسترد وعيه لم يتوقع أن يجد علياء جانبه، وجدها متعبة باكية، تستجديه أن يعيش ظنا منها أنه لا يشعر بها، وقالت له:

"مازالت أحبك يا عادل، لم يتوقف قلبي عن حبك حتى بعد ما قلته لي، كيف أجعلك تصدق أني لست عاهرة أو ساقطة، لست كالنساء الذين تلقي بهن وتفعل معهن ما تفعل، أخاف الله وأراعي حدوده لأنه موجود ويراني أينما كنت، لا أهل ولا رقابة تجعلني أبتعد عن الحرام، فقط خوفي من الله.كنت أظن أنني كرهتك ولم يعد هناك مكان في قلبي لك، لقد أكثرت من إهانتي رغم عدم إهانتي لك، أهنتني في كل مرة تسافر فيها وتعود وأنت تعرف أنك تحمل بقايا خطاياك على ملابسك جراء مغامراتك العاطفية، لم تكلف نفسك حتى عناء إخفاء ما قمت به، أعلم نظرة استمتاعك بإهانتي، لذلك تظاهرت بعد الاهتمام، تركت لك الغرفة ونمت في غرفة عمتي بعد وفاتها، ولكنك لم تكترث حتى أن تسألني لما

تركت غرفتنا. كنت أخدمك بحب بعد الوعكة الصحية التي ألمت بك في أول زواجنا، وكنت تقابل ذلك بالإهانة، وتحملت بسبب حالتك الصحية، أصبحت تعيب عدم حملي رغم مرور فترة طويلة على زواجنا، ولكن هل كنت ستشعر بالسعادة إذا أنا حملت؟؟!! لقد اعتقدت أن حبك ذبل في قلبي ومات، ولكن كل الحب ظهر مرة أخرى حين سمعت صوتك يستنجد بي ويستغيث، لقد اتصلت بي أنا ولم تتصل بغيري، كم شعرت بأهميتي عندك في تلك اللحظة، لم أكن أدري ماذا أفعل، أعانني محمد ووالدي على التفكير والتصرف، لذا لن أتركك حتى تعود لك صحتك، وبعد ذلك لأتحمل منك ما تفعله، أحبك يا عادل ولكنك لا تفهم، أرجوك أن تعيش، أن تتمسك بحياتك، فأنا لا أستطيع أن أتخيل حياتي بدونك حتى وإن كنت تعاملني بهذه القسوة، آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه يا عادل يا من أحببتك قدر ما كرهتك، ولكن للأسف اكتشفت الآن أني لم أكرهك أبدا". كان عادل يشعر بما حوله؛ شعر بها بجانبه، وسمعها وسمع كل ما قالته هذه المرة. رغم توقعه أنها أول من سيفرح بخبر وفاته، ولكنه فوجئ بوجودها وكلامها له.استمع لكل ما قالته علياء، ولكنه غير قادر على الكلام أو حتى الحركة، كان يرد في كلمات متفرقة لتظنه نائما، كم سعد بكلامها معه وهي تعلم أنه فاقد الوعي، كان يتوقع

أن تسبه، تحاول النيل منه، تعترف له بخطيئة ارتكبتها، ولكنها لم تفعل، أعلنت عن حبها له رغم قسوته معها، وكانت تطلب منه أن يعيش حتى وإن لم يتغير معها، فرد عليها بكلماته المقتضبة.

عندما سمعت علياء صوته، لم تستطع أن تحبس دموعها فأطلقت لها العنان، لا أحد في الغرفة ولا أحد يسمعها أو يراها، فرحت لأنه بدأ يتكلم، بدأت تدب فيه الروح ثانية، فرحت لأنه حتى وهو في غائب عن الوعي بسبب المخدر والعملية يذكرها، ويعتذر.

نامت علياء وهي جالسة على الكرسي بجانب فراشه، واستيقظت فزعة عندما وجدته يحاول إيقاظها، "عادل، ءأنت بخير، أتشعر بخطب ما" عندما وجدها جزعت كذلك أمسك على يديها أن اطمئني، وحاول أن يبتسم، حتى هدأت لتعرف ما يريد، ضغطت على زر استدعاء الممرضات وجاءت الممرضة لتطمئن عليه وعندما أفاق ذهبت الممرضة لتستدعي الطبيب للكشف عليه والاطمئنان على صحته. اتصلت علياء بوالدها لتطمئنه وتقول له أن عادل أفاق وتسأله عما توصل إليه، وقال لها أنه هو محمد ومأمون في الطريق للمستشفى.

عندما وجدت علياء أن عادل استرد وعيه ولكنه مازال غير قادر على الحركة أو الكلام، لم تعد تتحدث إليه، في حبها له،

عادت لما كانت عليه قبل الحادثة، وجه بلا تعبير، فهم عادل أنه هو من تسبب في ذلك الأمر، لو كان عاملها بالحسنى، وحاول أن يتقرب إليها لكانوا في أفضل حال، ولكنه متعب ولا يستطيع أي شيء الآن.

جاء عبد الخالق ومحمد ومأمون واطمئنوا على عادل، وطلبت الشرطة التحدث مع عادل للوصول للجاني.

لم ير عادل وجه الجاني، لقد كان يخفي وجهه بقناع ويرتدي القفازات، عندما ذهب ليفتح الباب ليذهب إلى عمله وجد أمامه شخص لم يتحدث فقط وجه له المسدس وأطلقه، عندما وجد عادل المسدس مشهر في وجهه حاول الجري والهرب والابتعاد عن المسدس خاصة أن الرصاصة قد أطلقت بالفعل، جرى الجاني بمجرد أن رأى إصابة عادل وظن أنه قتله، أخرج عادل أثناء محاولته الابتعاد عن المسدس هاتفه ليستغيث، ولا يدري لما اتصل منهاتفه على رقم علياء ليستنجد بهابعد أناستقرت الرصاصة في صدره، لم يعد يستطيع الكلام فأغلق الهاتف ولم يشعر بشيء آخر.

الفصل الخامس عشر

استقرت حالة عادل الصحية، ولكنه سيظل فترة طويلة في المستشفى بسبب الرعاية الطبية التي يحتاج إليها؛ لذا طلب من عبد الخالق ومحمد ومأمون السفر لرعاية مصالحهم في القرية، والاعتناء بفردوس فلا يجب أن تظل فترة طويلة وحيدة هكذا، ولكنه طلب أن تظل علياء معه ولا تسافر. لم يعترض أحد؛ فهي زوجته والواجب يحتم عليها البقاء معه، ومراعاته حتى يشفى تماما.

جلس عادل مع نفسه يعاتبها ويحاول أن يعرف سبب تعذيبه للإنسانة الوحيدة التي أحبها، لقد أراد أن يعاقبها ولكنه تمادى في العقاب، حتى نسي أنه يعاقبها وظن أن ذلك هو ما يجب أن يكون.

فكر كثيرا في سبب ما يعانيه من كره شديد للنساء، ولكنه فهم بعد أن استعرض حياته كلها أمام عينيه أنه كره منهن ضعفهن وسلبيتهن التي وجد أمه عليها، ثم ما مر به من تجارب نسائية في سن مبكرة جعلته ينتقم في كل فتاة من ضعفها وسلبيتها، وأن سبب حبه وكرهه لعلياء هو تحديها له، أنها كانت النموذج الذي يرغب أن يجد أمه عليه، اختلافها جعله في تمزق وخلاف بين نصف الذي يكره الضعف والسلبية والنصف الآخر الذي يقدسها ما دامت تخدم العادات والتقاليد، وكانت علياء هي الضحية.

أخيرا، وبعد الحادث الذي مر به، اكتشف مشكلته وحاول

معالجتها، ولكنه لم يعرف كيف يبدأ ذلك، خرج عادل من المستشفى بعد قضائه ما يقارب الشهر، ولكنه لم يستطع السفر لقنا لاستمرار تعبه وكذا استمرار التحقيق في الحادثة حيث لم يتمالعثور على الجاني بعد. وجد عادل بقائه هو علياء في القاهرة بعيدا عن كل الناس فرصة جيدة كي يكتشفا نفسيهما، أن يتقاربان وأن يعتذر لها عما سببه من ألم وإحباط وخيبة أمل.

حجز عادل في فندق سياحي قرب الأهرامات، يعلم عادل مدى حب علياء للآثار، لم ينس أبدا حتى الآن حبها لآثار البلد. كانت الفندق كبير اختار عادل غرفة تطل على الأهرام وحديقة الفندق. يعرف أن ذلك المشهد هو ما يسعد علياء.

لم تنس علياء أن تضع مذكراتها معها وهي مسافرة لعادل، كانت معها لم تفارقها، كتبت فيها وهي في المستشفى عندما كان ينام عادل، تجلس في الشرفة وتدون الأحداث التي مرت بها في ذلك. فرحت علياء بالمنظر التي تطل عليه غرفتهما، وعندما نام عادل، دخلت الشرفة وجلست تحتسي الشاي الذي تحبه وتكتب أحداث اليوم الذي مر بها، نامت علياء في الشرفة وهي تكتب لم تشعر بالوقت حتى نامت على الكرسي، استيقظ عادل وجدها نائمة على الكرسي في الشرفة، ظن أنها لا تريد أن تشاركه فراشه، ولم يعرف هل يوقظها أم يتركها نائمة، لفت نظره المذكرات التي وجدها أمامه مفتوحةحيث كانت تكتب في تلك الصفحة: "لقد

تغير عادل في معاملته لي خلال فترة وجوده في المستشفى، حتى نظراته تغيرت، وجدت نظرات أعرفها كنت أجدها منه عندما كنت طفلة صغيرة وحتى وصلت للمرحلة الإعدادية. ترى هل عاد حبي لقلبه مرة أخرى، أم أنه يدبر لي ما يهينني به مرة أخرى؟ هل كان اختيار هذه الغرفة وهذا المنظر وهذا المكان لعلمه أني أحبها أم أنه أراد أن يبتعد قدر إمكانه عن المدينة وصخبها؟ لم أعد أعرف، لقد تغير عادل وحسب، أردت أن أعانقه عندما اختار هذا المنظر، ولكنني خفت منه ومن رد فعله، انتظرت منه أن يعانقني، أو حتى يطلب مني الجلوس جانبه على فراشه، لكنه لم يفعل، سأتركه ولأكمل كتابة أحداث يومي".

كانت الكلمات التي قرأها لتوه من مذكرات علياء بمثابة تنبيه له لما تنتظره منه علياء، لذا انسحب بهدوء من الشرفة وذهب للفراش وتظاهر أنه استيقظ لتوه ونادى على علياء

عادل: علياااااااااااااء، علياء أين أنتي؟

استيقظت علياء على صوته، وظنت أنه يعاني من خطب ما، جرت عليه والفزع يملأ قسمات وجهها وعينيها ما إن رآها عادل على هذا الحال قام من مكانه واحتضنها وطمأنها، ولأول مرة تبكي علياء على كتفه وتطلق لعيونها الحق في البكاء أمامه، فأمسك بوجهها ونظر في عينيها وقال لها "سامحيني، لقد أحببتك ولكن عنادك هو سبب ما وصلنا إليه، لأول مرة أراكي لا تهربين

مني وتشعري بالاطمئنان وأنت في أحضاني." انتبهت علياء آنذاك أنها بالفعل شعرت لأول مرة بالأمان لكي تبكي على صدره ولكنها خافت من ذلك الشعور لما خبرته من عادل وتصرفاته، فجفلت وحاولت الخروج من حضنه

عادل: لا تهربي، لا يجب أن نهرب من بعضنا بعد الآن يا علياء، أنا أحبك وأنت أيضا تفعلين، لماذا العناد والهروب؟

علياء (باكية تشعر بالحب والخوف والأمان من عادل): أخاف منك يا عادل، أخاف أن يكون ذلك سبب جديد لتهينني

ضمها عادل في رقة لحضنه وأمسك وجهها بكلتا يديه ونظر في عينيها: أعدك أن أتغير، ولكن عليك أن تساعديني.

لأول مرة تشعر في كلام عادل الحب، ولا تعلم ما سبب شعورها بذلك، بل إنها تخاف من ذلك الشعور، لأول مرة منذ تزوجا منذ اثني عشرةسنة، وهما أزواج ولكنهما أعداء، تشعر أنه يخبئ لها خنجرا ليطعنها به كلما سنحت له الفرصة لذلك. لأول مرة تشعر أنها تريد أن تترك لقلبها العنان لتعيش قصة الحب التي طالما حلمت أن تعيشها، كثيرا ما كانت تحلم به يقول لها كلمة أحبك، وها هو يقولها لها مرتين خلال شهر واحد، منذ الحادثة مضى عليهما أطول وقت قضياه سويا.

تركت نفسها لعادل، أزاح عنها غطاء شعرها، واحتضنها بقوة أحبتها، وبدأت مراسم حب كتب لها أن تولد بعد زواج دام

اثني عشرة سنة، كانت علياء تستجيب لكل فعل قام به عادل، إشارة منها أن أكمل، حتى وصلت لآخر مرحلة أن يهم بها عادل، وجدها أغمضت عينيها وتغيرت ملامحها وظلت تقاومه وتبعده عنها. ابتعد عادل، لقد شعر أن هناك شيء على غير ما يرام، لقد تغيرت علياء، لم تعد هي التي يعرفها، بعد أن تركها ولم يكمل، وجدها تنظر بعينين زائغتين للحجرة وله، تحاول أن تغطي نفسها ولأول مرة بكت بطريقة تذكرها جيدا، كما بكت يوم زواجها.

لم يعرف عادل ماذا يفعل، دخل الشرفة وترك علياء في السرير لتهدأ. وجد مذكراتها مازالت مفتوحة أمامه، انتابه الفضول أن يعرف ماذا تكتب علياء؟ وكيف تراه وترى الجميع "اليوم هو الذكرى الثانية عشر لوالدتي وهو أيضا الذكرى الثالثةلوفاتي" استغرب عادل الجملة، كيف ماتت، ماذا حدث منذ ثلاث سنوات، لم يعرف وهي لم تكتب أكثر من ذلك في ذلك اليوم، حاول أن يذهب قبل ذلك لم يجد، إما أنها لم تكتب قبل ذلك أو أنها تكتب في دفتر آخر انتهى فأكملت في هذا الدفتر، قلب بعد ذلك وجد في نفس اليوم من كل عام ذكرى وفاة والدتها، هو يعلم أن ميلادها ذكرى وفاة أمها، ولكنه استغرب لماذا لم تشر لميلادها وتعبره تاريخ وفاتها، وجد في يوم آخر "لا أعلم لما يعارض عادل دخولي المدرسة الثانوية، لما أصبح بهذه العصبية والحدة في التعامل، لقد تغير كثيرا، أعلم أني أحبه، أحب فيه خوفه

عليّ، كنت أشعر به وهو يراقبني ويراقب الخفراء ليطمئن على وصولي المدرسة وسلامتي، أحبه منذ كنت طفلة أراه يضرب من يأخذ لعبتي أو الحلوى مني حتى لو كان خيري أخوه. ما الذي تغير؟ لماذا تغير هكذا."أكمل في الأوراق فوجد اليوم الذي يعرفه جيدا: "اليوم كان أسوأ يوم في حياتي، كرهت فيه نفسي وعادل. ماذا كان يظن نفسه فاعلا بي؟ أهنت عليه، ما هذه النظرة التي كانت تملأ عينيه في ذلك اليوم؟ لقد أعاد إلي عادل صرخات فردوس وصرخاتي يوم قتلتني خديجة، بحجة الختان، يوم تركتني أنتهك وكانت تزغرد مع باقي النساء. لقد قتلني عادل." لقد فهم عادل لما تكتب وفاتها إنه الختان وصرخات فردوس، كأن كلامها ذكره بضعف والدته ووهنها وسلبيتها، أراد أن يخرج نفسه من هذه الدوامة فأكمل يقرأ حتى توقف عند صفحة أخرى: "لم أتوقع من خديجة أن تفعل معي ما فعلت، لقد كشفت عليّ لتتأكد من بكارتي، لتتأكد أن عادل لم يلمسني ولا أحد غيره بعد مرور ما يقارب العام على ما فعله عادل، لماذا الآن، لماذا تتهمني بإغواء عادل؟ هل اتهمني هو بشيء؟ لقد عارض دخولي الجامعة وكان يراقبني رغم أني أذهب مع مأمون كل يوم وأعود، أعلم أنه كان يراقبني، ولكني كنت أكرهه لما فعله بي، ترى هل كان هو من قال لعمتي أني أغويته؟ لا أعرف ولكن خديجة قتلتني مرة أخرى بما فعلته، لم أتحدث عما فعله عادل كي لا أفسد ما بين العائلة من

ود، ولكني أخاف أن يكررها، أن يفعلها مرة أخرى، أنه خبيث أخاف منه." كانت كلمات علياء في ذلك اليوم مثل الكابوس، لقد اتهمتها خديجة بما قاله عليها وأرادت أن تتأكد، لقد كان هو السبب فيما فعلته خديجة وفي نقمة علياء عليه رغم حبها له. لقد كان سببا في جرحها دون أن يدري، لم تقل له خديجة أنها فعلت ذلك وأنها كشفت عليها. شعر بالخزي من نفسه ومن تصرفاته وأفعاله. ولكنه أراد أن يكمل ويرى ويعرف علياء لأول مرة، وجد يوميات عادية، حتى وصل لما كتبته عن يوم زفافها وما تلاه: "أنا أكره عادل والعادات والتقاليد وأكره خديجة، أكره الجميع، لقد وافقت على زواجي بعادل لحبي له، أردت أن أغيره، أجعله عادل الذي طالما عرفته، لم أخبر أحدا بالسرقة وافتعلت المشاجرة مع المحاسب، وأخبرت بعدها مأمون ليتصرف، مأمون عاقل وسيخاف على عادل ويحاول إصلاح ما أفسده دون فضيحة، خفت من رد فعل والدي على ما فعله عادل، ولكني ندمت بعد زفافي بعادل أني لم أفعل وألغي هذا الزفاف الذي كان فضيحة على رؤوس الأشهاد، أكان يجب أن أفضح هكذا، لقد أمرنا الله بستر هذه الأمور ولكن العادات والتقاليد –تبا لها من عادات وتقاليد –تقضي بفضح ما أمرنا الله بستره. لم أطق لمسة عادل، بعد ما فعله بي أمام أمه وعمتي، عندما هم بي مرة أخرى كنت أرى أمامي وحش بمعنى الكلمة اختفت من أمامي ملامح عادل

وجدت أمامي وحش كاسر وجهه يضم ملامح عادل والطبيبة وخديجة ووالدي والوحوش التي كنت أتخيلها عندما أقرا كتب حكايات ألف ليلة وليلة، فعلا لم أرى عادل وقتها، ولم أرى عادل يوم حاول الاعتداء عليّ في الفندق. لقد استطاع أن يأخذ ما أراد بعد أن أنهكت في فض بكارتي ولكنه لن ينالني ثانية إلا إذا عاد كما كان، عادل الذي أحببته. أعلم أني جرحته بكلامي اليوم، ولكن كان الجرح لرد كرامتي التي أهدرها، لم يعلم حتى الآن أني أعلم بأمر اختلاسه، لن أقول له، لن يراني دون حجابي، لا أعرف كيف سأهرب منه، ولكن لن أكون فردوس أخرى."مرة أخرى وجد عادل أنه السبب فيما وصلت له علياء، ومرة أخرى وضعت يدها على جرحه بكلامها في المذكرات، إنها أمه واستسلامها لعمه وما يقول ولكلامه هو وأخوته من بعد عمه. ترك عادل المذكرات عندما وجد علياء تبكي وصوتها يناديه ويكاد يغشى عليها، أُقفل دفتر مذكراتها وجرى عليها وضمها إليه.

حاول أن يعيد إليها وعيها كثيرا، حتى نجح أخيرا وأفاقت علياء، وجدت نفسها بدون حجابها ولكن ترتدي ثياب عادية، استغربت وتذكرت أنها لم تكن تلبس تلك الثياب من قبل، آخر ما تذكره هو أن عادل كاد أن يهم بها.

علياء (بعدم فهم): ماذا حدث؟

عادل (بلهفة وخوف حقيقي): لقد كنا على وشك بدء

العلاقة وجدتك تبكين وتصرخين ثم أغشى عليك، ألبستك ملابسك وحاولت أن أعيد إليك وعيك، هل أنت بخير؟ ماذا حدث لكي يغشى عليك؟

خافت علياء من عادل، هل يسألها أم أنه يتهمها، فصمتت. أما عادل ففهم أنها لا تعرف حقا ماذا يريد، أراد عادل أن يقترب من قلبها، أراد أن يذيب جبال الثلج في علاقتهما، لقد فهم أنه هو من تسبب لها في كل ما تعاني منه؛ لذا يجب على كل منهما مساعدة الآخر ليجنيا الحب. ضمها عادل له وقال لها همسا في أذنها وهي قرب شفتيه: "أنا أحبك وأخاف عليك، عليك مساعدتي يا علياء، لماذا خفت مني وكنا في حال لا خوف فيها؟"، لم ترد سوى بكلمة خرجت وسط البكاء "رأيت الوحش".

أدرك عادل أن مهمته في القرب من علياء صعبه وتحتاج للوقت، قرر أن يقرأ مذكراتها كلها دون أن تعلم؛ لتكتب ما تشعر به، سيترك لها فرصة لكتابة ما شعرت ليستطيع أن يحل هذه المشكلة، لقد تعلم أن أي محاولة للعنف مع علياء ستقضي عليها تماما وهو يكره ذلك.

الفصل السادس عشر

تابع المحققون أعمالهم في قضية عادل، بعد السؤال عن عادل وسلوكه ونشاطه، تبين أنه محب للنساء ومتعدد العلاقات النسائية، له علاقات كثيرة مع باغيات وفتيات صغيرة ومتزوجات. وهذا النوع من الرجال يكثر من يريد قتله والانتقام منه.

بدأ رجال الشرطة بالبحث في قائمة العلاقات النسائية ومكالمات عادل في يوم قتله واليوم السابق له، تبين من التحريات أنه في ذلك اليوم أجرى مكالمة مع زوجة أحد العاملين بالشركة، ولم تكن تعمل بها. بعد التحقيقات التي أجرتها النيابة والضغوط التي تعرضت لها النيابة من بعض قيادات الحزب الوطني والوزراء وأعضاء مجلس الشعب تم الضغط على الموظف وزوجته وتضييق الخناق عليهما للاعتراف بما حدث.

اعترفت هبة زوجة حسين أمين المخازن، هبة، خريجة كلية زراعة القاهرة، تعرفت هناك على عادل وحملت منه سفاحا، سافرت له قريته لتطلب منه الزواج إلا أنه أنكر أنه يعرفها وأنكر صلته بحملها، بعد ذلك سافرت مرة أخرى للقاهرة وهي تشعر بخيبة الأمل. لم تعرف أسرتها شيء عن حملها وعلاقتها مع عادل، تقدم لها حسين في ذلك الوقت كان قد حصل على بكالوريوس التجارة ومقدم على عقد عمل في الخليج، بالطبع وافقت الأسرة على الزواج فورا، وتمت إجراءات الزواج، وفي ذلك الوقت قامت هبة بإجراء عملية لتعود بها بكرا ولم تجهض

نفسها لم تحتاج لعناء الإجهاض سينسب ما بطنها لزوجها ولن يعرف شيء.

وبالفعل تم الزواج ولم يعلم حسين أن ما تحمله رحم زوجته ليس من صلبه، أنجبت له ولدا، أسماه عادل نزولا على رغبة هبة. بعد فترة من السفر أنهى حسين عقد عمله في الخليج وعاد مرة أخرى لمصر والعمل بها، في ذلك الوقت كان عادل القناوي يفتتح شركته في القاهرة لتسويق منتجات مصنعه الجديد، وكان يحتاج موظف للإشراف على المخازن والعهدة وتقدم حسين للوظيفة بسبب الراتب الخاص بها، وقبل فعلا بها.

استغرب حسين أن زوجته لم تحمل رغم مرور سنوات طويلة على حملها الأول، وطلب منها أن تحمل مرة أخرى، ذهبت للكشف وعلمت ألا عيب بها، ولكن ذلك يعني أن حسين لا ينجب وهي كارثة أن عرف ذلك الأمر، لذا قالت لزوجها أنها تعاني من مشاكل نسائية تمنعها من الحمل مرة أخرى وأنها تعالج حتى يتم الحمل.

لم تكن هبة تعلم أن حسين يعمل في شركة عادل، حتى ذهبت له ذات يوم في العمل، بعد أن ذهبت لأحد الدجالين المشهور عنهم موضوع الحمل، علمت كيف يتم الحمل عندما وجدته يخيرها لحدوث الحمل ما بين علاقة غير مباشرة أو علاقة مباشره معهواختارت العلاقة المباشرة وحملت بالفعل.

ذهبت هبة لزوجها في عمله –بعد تأكدها من الحمل– لتبشره بخبر الحمل، وهناك وجدت عادل، لقد عرفته ولكنه لم يعرفها، ذكرته بنفسها، حاول التهرب منها، قالت له أنها تزوجت وأنها أتت الشركة لزيارة زوجها، وسألته عن أحواله وحصلت على رقم هاتفه وعنوان شقته. لم تمانع هبة أبدا أن تزوره أو حتى تخون زوجها معه، حتى يكون لها أطفالا كثيرة، ولكن الذي حدث لم تتوقعه هبة، لقد ذهب زوجها للطبيب للشكوى من بعض المشاكل، خاصة وهو يعلم أنه له فترة لا يرضي رغبة زوجته فيه ولا ترضى معه حتى وإن تظاهرت بعكس ذلك، ذهب للكشف وإجراء بعض التحاليل اكتشف منها أنه لا يستطيع الانجاب، وكانت طامة على رأسه.

لم يقل شيئا لهبة التي قالت له أنها حامل للمرة الثانية، إنها تخونه منذ أول يوم زواج، راقبها كثيرا وراقب مكالمتها ووجد رقم عادل ووجدها تتردد على شقته في القاهرة كلما نزل إليها، توقع أن الراتب الكبير ليس مقابل خدماته وأمانته وإنما مقابل زوجته، قرر أن يتخلص من عادل وهبة وأن يقتلهما دون أن يعرف أحد، ويتخلص من ابن هبة الذي هداه تفكيره أنه قد يكون ابن عادل، ذهب لمنزل عادل في موعد نزوله للعمل وأطلق عليه الرصاص وتركه عندما ظن أنه مات، وكان يرتب لقتل هبة وابنها بالبوتاجاز ولكن الحظ لم يحالفه، لقد خدرهما وفتح الأنبوبة

وتركهما وخرج ليقضي الوقت مع أهله ليعود متأخرا ويكون قضاء الله نفذ فيهما، ولكن من سوء حظه أن الأنبوبة كانت تحتاج لتغيير لانتهاء البوتاجاز منها، وكتب لهبة وولدها الحياة.

وعندما توصلت تحريات المباحث لحسين وهبة كان حسين يتشاجر معها وكاد أن يغرس السكين في قلبها لولا دخول الشرطة والقبض عليهما.

خرجت هبة من القضية، وحكم على حسين بالسجن لمدة خمسة عشر عاما، ورفع حسين من محبسه دعوى اسقاط نسب لما تحمله هبة في أحشائها وولدها الذي ولدته، وتم عمل اختبار *DNA* وطلب عادل أيضا إجرائه حتى لا تقاضيه هبة لإثبات نسب ولدها له، بعد ما ألمت بها الفضيحة، وأثبتت التحاليل بالفعل أن الطفل ليس ابن عادل كما زعمت هبة. لم يهتم أحد بعد ذلك بهبة ومصيرها وما حدث لها، وتأكد عادل أنه بالفعل لم يكن والد الولد، وأن الاحتياطات التي يقوم بها تمنع حدوث أي حمل.

عندما تأكد عادل أن علياء استردت وعيها، وأفاقت تماما، قرر أن يختلق أي سبب للخروج ليتركها تكتب ما شعرت به، ليحلا سويا المشكلة، فقال لها أنه يريد أن يشتري له ولها بعض الأشياء من المحال الموجودة داخل الفندق وسألها عما تريد، ثم نزل جلس بعض الوقت في حديقة الفندق، ثم زار المحال الموجودة وقرر أن يشتري هدية لعلياء، كان يعلم أن أحب الهدايا

لها الورد والكتب، لا يوجد هنا مكتبات للكتب لذا اشترى لها الورد الذي تحبه، انتقى لها الأزهار التي يعرف أنها تحبها وجمعها لها في باقة ورد يصعد بها إليها.

عندما صعد كانت علياء بالفعل، انتهت من تدوين ما شعرت به، وشردت في لا شيء ولم تشعر بدخول عادل، وجد عادل الدفتر مفتوح أمامها وهي شاردة، تظاهر أنه لم يرى الدفتر ولم يرها ونادي عليها، فوجئت عندما أهدى لها باقة الورد، احتضنها وطلب منها أن تدخل لتغتسل ثم ينزلا سويا للمطعم لتناول بعض الطعام.

كانت تلك حجة من عادل ليتكمن من قراءة ما كتبته، قرأه سريعا، وعلم أن رفضها هذه المرة لم يكن عنادا منها وإنما ذكريات بعيدة ظهرت، لقد ظهر لها الوحش مرة أخرى، كان يرهف السمع كي لا تلاحظ أنه لاحظ مذكراتها وعندما وجد صوت المياه توقف، وأعاد الدفتر كما كان، وجلس في الغرفة موليا ظهره للشرفة.

خرجت علياء وتذكرت أنها تركت مذكراتها في الشرفة، واطمأنت عندما وجدت عادل يجلس في انتظارها موليا ظهره للشرفة أي أنه لم ير شيئا، لبست ملابسها ووجد عادل أن يفسح لها مجالا لإخفاء مذكراتها وهو يراقبها، وبالفعل دخل الحمام متظاهرا أنه هناك وراقبها تدخل الشرفة وتخرج وقد أخفت

المذكرات في حقيبة يدها، خرج من الحمام ونزلا سويا، أمسك يدها، ولأول مرة يقضيان الوقت سويا. سألها عما وصلت إليه في فصول محو الأمية واستخراج اثبات الشخصية للإناث في القرية، سألها عن كل صغيرة وكبيرة، لأول مرة تركها تتحدث ويسمع منها، عندما صعدا غرفتهما هذه المرة تغلبت هي على الوحش، كانت المرة الأولى التي يشعر فيها عادل بالسعادة بعد ما يفعله، شعرت هي بالسعادة ثم ظهر لها الوحش مرة أخرى، كان عادل في الحمام يغتسل، خرج على صوتها تبكي بشدة وتتوسل لشخص ما أن يبتعد عنها، ضمها عادل ولطمها بخفة على وجنتيها حتى أفاقت مما ألم بها.

قضى هذه الليلة مستيقظا بجانبها، لم يستطع النوم، كلما نامت قامت فزعة تصرخ بكلمة الوحش. وجد عادل أنه من الضروري أن تعرض على الطبيب لكي تستطيع النوم. ضمها في صدره وظل يقرأ عليها القرآن حتى استيقظت في اليوم التالي لا تدري شيئا عما كان منها بالأمس.

مر شهر كامل عليهما في القاهرة، في كل مرة يقترب منها عادل تتركه ويحدث ما يحدث ولا تتذكر من الصراخ والخوف أي شيء، عادا لقنا بعد انتهاء التحقيقات وتحويل الجاني للقضاء، تعلم عادل الدرس جيدا، علاقاته العابرة كادت تتسبب في مقتله وتشويه سمعته، لقد نسبت له هبة في التحقيقات ولدها عادل وهو

يعلم أنه ليس والده، طلب إجراء تحليل *DNA* وكذا فعل زوجها، ينتظر نتيجة التحليل ويخاف أن يكون ولده فعلا.

تحدث عادل مع مأمون فيما ينتاب علياء، يسأله النصح فيما يفعل، قال له مأمون أن الحل في الطبيب النفسي، اعترض عادل بشدة على موضوع الطبيب، وطمأنه مأمون أنه يعرف طبيبة شابة تخصصها الطب النفسي، وأنها تدرس في جامعة قنا، وأنها محترمة وثقة.

وافق عادل على ذلك الحل، كانت هناك جلسات مطولة بين علياء والطبيبة، لم يكن أحد من الدوّار يعلم أنها طبيبة سوى عادل ومأمون ومحمد. فرح محمد جدا بالتحول الذي حدث بين علياء وعادل وكذا مأمون وعبد الخالق، لقد ذابت جبال الثلج بينهما، وتغير عادل، أخيرا نجحت علياء فيما كانت تسعى إليه، ولكنها تعبت من جراء ذلك ولكن الهدف تم الوصول له أخيرا.

استمر علاج علياء حوالي الشهرين، كانت تعالج فيه هي وعادل، وخلال فترة العلاج علمت علياء بحملها، كان خبر حملها فرحة ملأت المكان كله، ولكن عبد الخالق خاف عليها أن تموت في ولادتها كما ماتت أمها، خاف أن يحرم منها، تذكر احسان وكم كانت ستفرح بابنتها اليوم.

الفصل السابع عشر

مازالت القضية تنظر، ولم يتم الحكم فيها حتى الآن، ولكن ظهرت براءة عادل من بنوة ابن هبة، وتزوج مأمون من هدية الطبيبة النفسية، لقد كان يحبها، وتقرب إليها أكثر عندما كانت تعالج عادل وعلياء، اقترب منها وأحبها وأحبته، تزوجها بعد أن أتمت علاج علياء، وكان يوم الزفاف كما أراده مأمون لا عادات ولا تقاليد، ووقد حملت هدية في أحشائها ابن مأمون منذ أول ليلة لهما معا، تمشي كلتيهما وهي تحمل في أحشائها ولدها، فرح عبد الخالق بهما كثيرا، وحانت لحظة ولادة علياء، أصر عادل على نقلها للمستشفى لتلد هناك، لم يعد هناك الآن أحد يلد في المنزل، وانتهى زمن القابلة.

كان عبد الخالق يشعر بالخوف والضيق، الخوف على ابنته أن يحدث لها مكروه، والضيق من كشف ابنته على طبيب في مستشفى، مازال لا يستسيغ تلك الفكرة، خرجت الممرضة مبشرة بولادة فتاة، تغير وجه عبد الخالق وسأل عن ابنته، لا يعلم لما تذكر احسان في تلك اللحظة، وطمأنته الممرضة عليها، أخيرا شعر بالراحة كان يخاف أن يفقدها.

لم يعلم عبد الخالق لما سيطر عليه هذا الهاجس طوال فترة حمل علياء، حتى عندما ولدت ابنتها. فرح عبد الخالق بنجاة ابنته وبولادتها، فرح عادل كثيرا عندما حمل ابنته بين ذراعيه، شعر بشعور غريب وحب لتلك الفتاة التي يحملها بين يديه، إنها فلذة كبده وقطعة منه، كان يريد أن تلد له علياء ذكرا، ولكن مازال

امامها العمر طويل، طلبت علياء أن تختار لها اسمها ووافق عادل وهو يتوقع الاسم، توقع أن تسميها خديجة، ولكن علياء فاجأت الجميع أطلقت عليها "سما".

أرادتها علياء أن تعرف منذ صغرها أنها ليست فقط علياء ولكنها مرتفعة، لا يصل إليها أحد مهما حاول، فلتجتهد أن تكون كاسمها "سما".

انشغلت علياء في تربية ابنتها ودروس محو الأمية التي أصبح يشارك فيها الجميع، حتى هدية اشتركت فيها، وتطوع فيها العديد من شباب القرية. شعرت علياء أن مجهودها وتعبها بدأ أخيرا يؤتي ثماره، أما عادل كان لا يخطو خطوة دون وجودها جانبه، حتى ذهابه لشركته في القاهرة أصبحت تذهب معه لها ولها مكتب خاص بها تدرس الأوراق وتشاركه الرأي. أبدت تفوقا في الإدارة أذهل عادل، لم يكن أبدا يتوقع أن تكون علياء بذلك الذكاء وتلك الموهبة.

طلب عبد الخالق من محمد أن يتزوج، كان محمد بالفعل اختار الفتاة التي يريد أن تشاركه حياته، وجد عايدة بنت أحد كبراء القرية انتهت من دراستها في كلية الحقوق، سأل عنها مأمون وكذا محمد والكل أبدى اعجابه بالبنت وأخلاقها وأسرتها، وكان زفاف محمد كما هو الحال مع مأمون، زفاف ينهي العادات والتقاليد، ومنذ زفاف مأمون ومحمد وأصبحت الأعراس التي تجرى وفق التقاليد قليلة جدا، ولكن بقيت مشكلة خطيرة وهي

الختان.

كبر عبد الخالق ودون سابق إنذار توفى، استيقظت فردوس وجدته لم يستيقظ لصلاة الفجر، حاولت أن توقظه لم يستيقظ، نادت على عادل وعلياء، وجداه قد توفى، حاولت فردوس أن تصرخ منعتها علياء "حرام يا أمي، لما تعذبيه بعد موته، ادعي له بالرحمة والمغفرة".

وكما حدث في وفاة خديجة وعزائها منعت علياء أي صراخ أو نواح على الفقيد، حزنت عليه كثيرا، كم أحبته، وكم أحبها، لم يكن أبدا قاسيا عليها، كان يحبها ويظهر حبه لها، وتعلم أن ذلك وقتها كان تدليل زائد منه يلومه عليه الجميع. توفى عبد الخالق بعد أن تزوج أبنائه واطمان عليهم جميعا.

لم يمض على وفاة عبد الخالق الأربعين يوما حتى توفت فردوس هي الأخرى، كأنهما قد أنهيا رسالتهما ودورهما في الحياة وتركا أبنائهما لإكمال ما بدأوه.

أعطى محمد لعلياء نصيبها من ميراث أبيها، وأغضب ذلك عادل كثيرا، كما أغضبهحصول فردوس على نصيبها من ميراث زوجها، إلا أن محمد بصفته أخ لعلياء وابن لفردوس وبصفته عمدة القرية كان عليه تطبيق شرع الله في الميراث، وكان كلا من مأمون وخيري في صفه. أخيرا اقتنع عادل بميراث الإناث، لم يصدق أنه حقهم شرعا حتى ذهب بنفسه لدار الفتاوى وعلم عقوبة مانع الإرث كما شرعه الله، هنا فقط خاف على نفسه من

عقاب الله عز وجل. لقد استغفر كثيرا مما فعله يغضب الله، ولا يريد أن يغضبه بشيء آخر، وطالما أن الجميع لهم نفس الرأي فلن يخالفهم.

ولدت زوجة مأمون له ولدا وأسماه حامد على اسم والده، أما محمد فولدت له زوجته توأم ولدا وبنتا أطلق عليهما عبد الخالق وفردوس، أراد أن يظل اسم أباه وأمه يتردد في المنزل، لقد أحبهما كثيرا ولن يرضى أن يختفي اسمهما هكذا من الدوّار.

حملت علياء مرة أخرى، بعد أن مر على حملها الأول ثلاثة أعوام، فرح عادل بحملها كثيرا، وكان يقول لابنته أمك ستأتي لك بأخ يلعب معك أنت وأولاد أعمامك، وولدت علياء البنت الثانية، كان ذلك يضايق عادل كثيرا لقد أنجب اخوته جميعا الذكور فلما كان حظه هو بالذات أن تلد له زوجته الإناث، شعرت علياء بما يعتمل في صدره، فقالت له صراحة أن نوع الجنين هو هبة من الله، وذكرته بالآية الكريمة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ استغفر عادل ربه ولكنه كان يريد الولد، هو مطمئن لأن بناته سيرثن منه، مع عدم رغبته في ذلك، ولكن يوجد لديهن ما يؤمن مستقبلهن، ولكنه يخاف عليهن، يعرف ما فعله ويخاف أن يتكرر معه.

أصر عادل أن تحمل علياء مرة أخرى قبل أن يمر على

ولادتها الثانية عام واحد، وبالفعل حملت مرة أخرى، أنجبت فيها بنتا أخرى، ليصير عادل أبو البنات، سما وعلا وغيداء، كان لقب أبي البنات يضايقه كثيرا، ولكنه رضي بقضاء الله، لم يكون له ولد يحمل اسمه.

دخلت سما المدرسة الابتدائية، ما لبثت أن لحقت بها علا ثم غيداء. أثبتت البنات تفوق ونبوغ أذهل عادل، لقد ورثن أمهن في الذكاء والتفوق، وأصبح تكريم بناته لتفوهن الدراسي شيء معتاد، أن يذهب مع كل واحدة منهن للمحافظة للتكريم. شعر بالفخر الذي كان يشعر به عبد الخالق، أن تكرم ابنته الأولى على المحافظة في المرحلة الابتدائية. وأن تكرم البنات كل عام لأنهن الأوائل على المدرسة. بعد أن أنهت سما المرحلة الابتدائية طلب من علياء أن تقوم بختانها، بالطبع رفضت علياء ما قاله جملة وتفصيلا، وتذكر هو مأساة علياء، فطلب منها أن تعرضها على طبيبة أمراض نسا لترى إن كان هناك ضرورة لختانها أم لا. وردت عليه علياء أن وأفهمته، أن ذلك لا يظهر والبنت مازالت صغيرة وإنما يجب أن تكبر وتصل للمرحلة الثانوية، عندها ستذهب بها للطبيبة لتعرف مدى احتياجها للختان، إما الطفلة صغيرة ولا تريد لها أن تمر بما مرت هي به.

لقد كانت علياء تحارب في قضية الختان، لا ترضى عن رأي الفئتين المؤيدة دون سبب والمعارضة دون سبب. ترى أن كلتاهما على خطأ، كلتاهما تحاول أن تفرض رأيها. اجتهدت

كثيرا حتى علمت معلومات كثيرة عن الختان، وأنواعه وحكمه الشرعي. لقد علمت أن هناك أكثر من نوع وأن النوع الذي ورد في السنة هو إزالة الحشفة مثل ما هو في الذكر وأن توقع الكشف على الفتاة طبيبة مسلمة، لتنظر إن كانت الفتاة في حاجة له أم لا، ولا تضر بمستقبلها الزوجي، أما الأنواع الأخرى كلها تقضي على مستقبل الفتاة الزوجي وقد نهى عنه رسولنا الكريم. ولكنها وجدت المؤديون يطالبون بالسنة مع أنهم يفعلون ما نهت عنه السنة، وعلى الجانب الآخر يرفض الختان جملة وموضوعا ويرفضون أنه ورد بالسنة. لذا كانت تحارب الفريقين الرافض والمؤيد، لم تهتم بمن يؤيدها كانت تهتم ألا تضيع فروض أو سنن، وألا تنتهك فتاة نتيجة معتقدات خاطئة.

لقد تعبت من شرح أن الختان لا علاقة له بعفة الفتاة أو شرفها، إنه سنة الهدف منها النظافة والتجميل كما أمر بها الدين، مثل ما نفعله مع الذكر، والاختلاف أن ختان الذكر فرض والأنثى سنة. تعبت من شرح أن الفتاة في سنها الصغير وهي في مرحلة الطفولة لا يظهر مدى حاجتها للختان من عدمه، ولن تفهم ما يحدث لها، سيتم القضاء على براءة طفولتها وترسيخ عقدة نفسية تلازمها طوال عمرها.

الفصل الثامن عشر

عندما وصلت سما لسن البلوغ، جلست معها علياء، وتكلمت معها عما تمر به من تغيرات جسمية ونفسية، وكيف تتعامل معها، علمت أنها سيأتي عليها أوقات لا تستطيع الصلاة أو الصوم أو قراءة القرآن. أفهمتها أنها الآن فرض عليها الحجاب، وأفهمتها ما الحجاب ولما فرض.

لم تترك علياء بناتها، لقد حفظن القرآن الكريم كاملا، وكرّمن في مسابقات الحفظ وهن في سن الرابعة، حفظن القرآن كاملا. وقد أثر ذلك عليهن بالإيجاب في الفهم والإدراك، لقد قرأت قبل زواجها دراسة أجنبية عن الأطفال، وخاصة أطفال المسلمين، ورد فيها أن حفظ الطفل المسلم للقرآن قبل سن المدرسة يساعد المخ على النبوغ والإبداع، لأنه يحفظ عدد هائل من المفردات الخاصة باللغة ما يزيد عن ٥٥ ألف كلمة، وبالتالي أصبح نشاطه الدماغي مستعدا لتلقي أية علوم والإبداع فيها، سبحت ربها على هذه النعم، ولم تنسى أبدا ذلك البحث، وعندما حملت لأول مرة قررت أن يحفظ أبنائها المصحف كاملا. وبالفعل حفظ ثلاثتهن المصحف كاملا، أصبحن مبدعات.

وعندما بلغت سما كانت تحفظ من الأحاديث أيضا، أحبت القراءة كما والدتها، أحبت الحجاب، وقالت لوالدتها ذات يوم أن البنات في المدرسة يرتدين الحجاب حتى باب المدرسة ثم

يخلعنه، وكانت تحكي لها كلام البنات، لقد كانت صديقة لبناتها، رغم انشغالها مع عادل في عمله وفصول محو الأمية وغيرها من مشاكل في القرية.

لم تتذمر علياء من كلام بناتها، كانت تتقرب منهن وتسمع وتعامل عقلهن بالحجة وبالبرهان، ساعدتهن على حب القراءة والمعرفة، وعرفن أن القراءة هي مفتاح الكنوز، كل يوم يمر على عادل يرى فيه البنات يشعر أنهن هدية من الله له، جمال وعقل ودين.

أخيرا اقتنع عادل أن الدين والأخلاق هما ما يجب أن يمنع الفتاة عن الحرام وليس الرقابة، وافق عادل على التحاق بناته بالمراحل المختلفة حتى وصلن للجامعة، كان يسمح لهن في فترة الصيف بالنزول معه للشركة ومتابعتها. اهتمت سما في دراستها بدراسة الأدب والشعر العربي، والتحقت بكلية الآداب وأصبحت معيدة في الكلية. اهتمت علا بدراسة الحقوق والقانون واهتمت بنشاط مأمون في مجال التوعية بالحقوق والقانون، وحصلت على الليسانس في مجال الحقوق وعملت في مكتب محاماة كبير في القاهرة وذاع صيتها هناك، وتابعت الشئون القانونية لأعمال والدها وأعمامها، غيداء كانت تحب الرسم، ولكن عادل لم يوافق على ذلك وحاول اقناعها بدراسة الدعاية

والإعلان، واقتنعت بذلك وسمح لها عادل أن يظل الرسم هواية لها؛ فالتحقت بكلية الإعلام قسم علاقات عامة، وبعد التخرج تسلمت إدارة شركة التسويق واعتمد عليها كليا في إدارة الشركة.

جلست علياء أمام مذكراتها تتأمل ما وصلت له حياتها الآن، كيف تحولت حياتها منذ كانت طفلة حتى أصبحت أما لثلاث فتيات، في جمالهن كما البدر، وفي أخلاقهن لا تشوبهن شائبة، وفي تدينهن حمدت الله على حفظهم للقرآن الكريم كاملا ولمعظم الأحاديث النبوية.

كانت مثلها مثل أي أم تتمنى أن ترى بناتها في بيوت أزواجهن، رغم نجاحهن الباهر في المجال العلمي والعملي كانت تريد أن تراهن زوجات وأمهات، وتساءلت ترى يا عادل كيف تراهن الآن، وعندما ذكرته في عقلها وجدته يدخل الغرفة، تركت مذكراتها مفتوحة أمامه لأول مرة، وأعطتها له ليقرأها، وأخرجت له دفاترها جميعا.

فرح عادل من تصرف علياء ذلك، ولم يقل لها يوما أنه عرف كم كان أنانيا معها بسبب ما قرأه من مذكراتها، ولكنه فوجئ أثناء مطالعته معها لمذكراتها أنها علمت أنه قرأ ما كتبته ولكنها تظاهرت بعدم المعرفة، لتعرف إن كان ذلك ليستغله ضدها أم أنه فعلا أراد أن يعرفها، وأنها تعرف أنه لم يحاول بعد ذلك قراءة ما

تكتبه، بل حاول أن يقرأها هو وأن يفهمها. أدخل كلامها عنه وعن تغيره وشعورها تجاهه على قلبه السعادة، احتضنها كما اعتاد أن يفعل، وعندما أنهيا مذكراتها سويا قال لها كأنه يقرأ ما يجول بخاطرها، أحببت البنات أكثر مما كنت أتوقع أن أحب أولادي، بذكائك في تربيتهن والتعامل معهن وذكائهن أحببتهن، كم أمتنى أن أراهن زوجات سعيدات وأمهات.

لقد أثبتن لي خطأ ما كنت اعتقد فيه، وأنت تحديدا أثبتي لي أن العادات والتقاليد ليست دائما على حق، ساعدتني أن أتقرب لربي واستغفر عما فعلت، لقد تحملتي ثورتي عندما رفضت أن ترثي أنت وأمي –رحمها الله –كم تحملت مني من حماقات، ولكن صبرتِ وجاهدتِ حتى اقتنعت أنا أن رضا الله أهم من أية عادات وتقاليد، والله لو كان أحدا قال لي أنني سأتغير وأسمح بإرث الإناث وأسعد لكوني أب لثلاث منهن لإتهمته بالجنون.

عادل: علياء بما أنك تحلمين بزواج بناتنا كما أفعل لك عندي بشرى

علياء: خيرا زفها إلي، عريس لأي بنت من بناتنا؟

عادل: إنه لسما أستاذ في كلية الآداب، زميل لها

علياء: وهل وافقت عليه؟

عادل: لا طلبت منه وقت لأسأل عنه وعن عائلته ثم أسأل البنت عن رأيها.

علياء: وهل سألت عنه؟

عادل: نعم، سألت عنه، الجميع يشكر في أخلاقه وتدينه، ولكن عائلته مستواها المالي أقل من عائلتنا.

علياء: لا يهم المستوى المادي كثيرا، يمكن أن نبني ملحق لهذا الدوّار يعيش فيها البنات مع أزواجهن ويكون هذا المنزل لنا كبار السن.

عادل: هل تعتقدي أن العريس سيوافق، لو وافق سأخاف أن يكون طامعا في أموالنا

علياء: إذن ماذا ترى؟

عادل: اسألي سما عن رأيها فيه، أما اختباره لمعرفة إن كان طامعا أم لا وهل يستحق ابنتنا لن يكون سهلا أبدا، لن أفرط في ابنتي لمن لا يقدرها ويعرف قيمتها.

ابتسمت علياء في موافقة منها لما قاله عادل، وابتسامة حب أيضا، لم تصدق أن هذا عادل الذي تسمعه، كل يوم يمر عليها يثبت لها أنه نعم الزوج ونعم الأب، كانت تظن ألا يوجد أب يحب ابنته كما فعل معها عبد الخالق، ولكن عادل أثبت لها أن

الأبوة حب وحنان وسند.

وتم زفاف سما على علي الدين زميلها بالجامعة، رفض علي الدين السكن في دوّار العمدة، أراد أن تكون زوجته في بيته هو، أراد أن يكون هو رجلها الأوحد. قبل زفاف سما لم تتركها علياء، علمتها كل شيء عن الزواج والزوج. علمتها أن الحياة مشاركة ومشاطرة لأيامهما سويا، لحلوها ومرها، علمتها كيف تحب زوجها وتحافظ على بيتها، ولا تهمل ما تحبه، تعرف أنها ابنتها تحب الأدب وتدريسه ومشاركة والدها في أعماله.

كان علياء أم وصديقة لبناتها، لم تترك شيئا إلا وعلمتهن إياه، وزوجت علا من زميل لها في مكتب المحاماة، محام شاب وعلى خلق، من أسرة يشهد لها الجميع الأخلاق والحسب والنسب، عاشت في قنا كما هو الحال مع سما، لم يمنعها زوجها من استمرار عملها بالمكتب ومتابعة أعمال والدها وأعمامها، أما غيداء فتزوجت من عبد الخالق ابن محمد وعاشت في الدوّار معهم، لقد كانت تحبه وأمها تعلم بحبهما وكانت تنتظر أن يتقدم لها عبد الخالق، وبالفعل تقدم لها عندما أنهى كليته والجيش واستلم عمله في إدارة أملاك أبيه العمدة، وترشح لأن يكون هو العمدة التالي محل أبيه، تقدم لغيداء وتزوجها وأيضا لم يمنعها من إدارة شركة والدها الخاصة بالتسويق، بل على العكس

ساعدها في توسيع نطاق عمل الشركة وأصبحت مجموعة شركات القناوي.

لقد وحد الأبناء الميراث وأصبح المصنع والشركات والأراضي كلها تحمل لقب العائلة القناوي، لم يختف اسم العائلة كما كان يتوقع عادل، لقد قام الصغار بتجميعهم، خاصة عندما تزوج ولدي خيري ببنات محمد ومأمون.

تغيرت الحياة في القرية وفي الأسرة، أصبح حكم العادات والتقاليد مباحا فيما لا يخالف شرع الله، بدأت النساء تحصلن على حقوقهن وإن تنازل بعضهن عنها، لم تكن الحقوق كاملة، ولكن من يناضل للحصول على حقه يصل له في النهاية. وصلت علياء لحقها لما حاربت من أجله، تغيرت القرية حيث ذهبت البنات للمدارس والجامعة، جرّم الختان قانونا إلا أنه مازال يجرى في السر، ولا أحد يجرؤ على الإعلان عنه كما كان الحال سابقا، لم يتحول الصعيد لجنة، مازالت هناك العديد من الحقوق الضائعة ونساء يرفضن الحصول عليها ليس فقط المطالبة بها.

تمت